الأمن الوطني في الشعر السعودي

دلالاته وتقنياته

إعـداد

الأستاذ الدكتور/ عُمَر بن عبدالعزيز المحمود

الأستاذ بقسم الأدب والبلاغة والنقد

الدكتورة/ قُـدَاس بنت خالد الخضيري

الأستاذ المساعد بقسم الأدب والبلاغة والنقد

كلية اللغة العربية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

بالمملكة العربية السعودية

١٤٤٥هـ =٢٠٢٣م

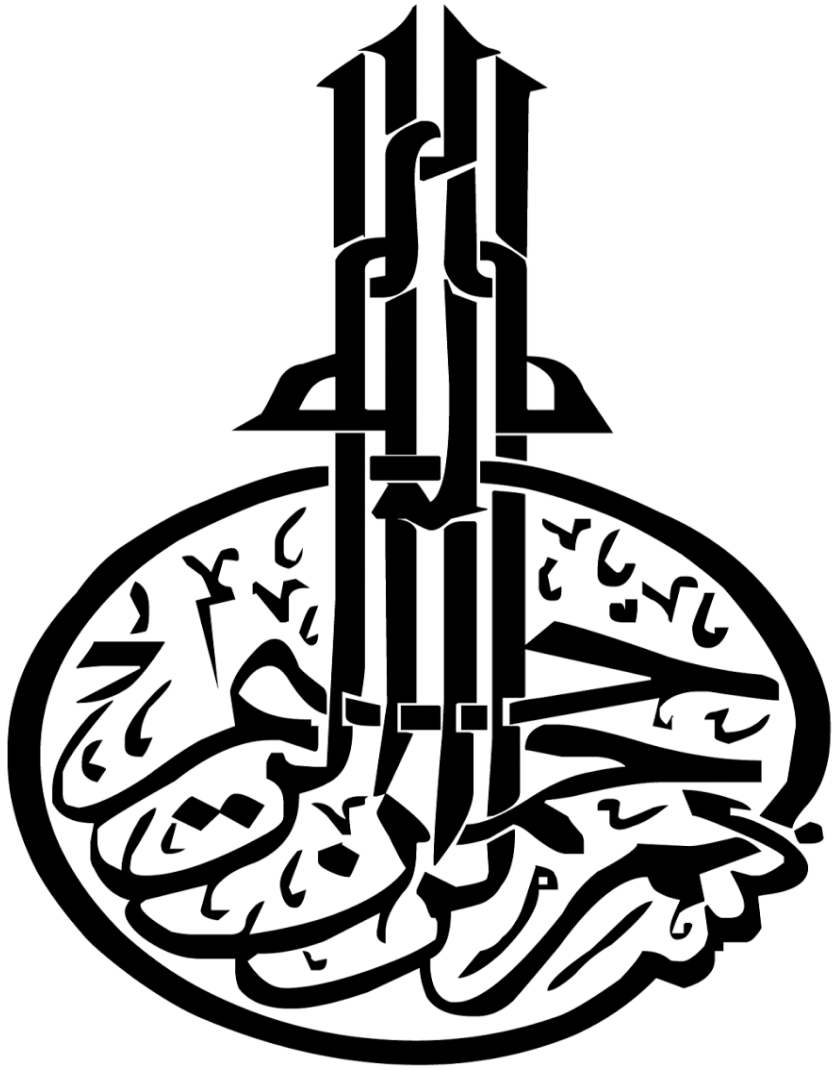

الأمن الوطني في الشعر السعودي - دلالاته وتقنياته

عُمَر بن عبد العزيز المحمود [1]*، قُدَاس بنت خالد الخضيري [2]

[1] قسم الأدب والبلاغة والنقد، كلية اللغة العربية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، السعودية.

[2] قسم الأدب البلاغة والنقد، كلية اللغة العربية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، السعودية.

* البريد الإلكتروني للباحث الرئيسي:
oamahmoud@imamu.edu.sa

ملخص البحث:

تروم هذه الدراسة تعزيز قيمة عليا من أهم القيم الإنسانية وأكثرها مصيرية، وهي قيمة الانتماء إلىٰ الوطن، وتجذير محبته، والولاء له، وتحقيق أمنه، ولقد كان الشعر في المملكة العربية السعودية حاضراً بشكل لافت في تعزيز مثل هذه القيمة وتكريسها في نفوس الناس من خلال منجزات شعرية ضخمة امتلأت بها دواوين الشعراء السعوديين، وكانت شاهداً ناطقًا علىٰ مدىٰ ولائهم وانتمائهم لوطنهم، سواء أكان ذلك بالتغني في حب الأرض التي ولدوا فيها ودرجوا عليها، أم كان علىٰ شكل رسائل ولاء وطاعة وحب لولاة أمر هذه البلاد الذين قادوها بحكمة وحنكة واندماج مع الشعب، أم كان علىٰ شكل التغني بمنجزات الوطن ومفاخره وأعمال أبنائه الجليلة. وقد حُدِّدت فترة الدراسة بالمنجزات الشعرية التي صدرت خلال ربع قرن بين عامي ١٤٠٨هـ - ١٤٣٣هـ، وهي مرحلة استوىٰ فيها الشعر الوطني علىٰ سوقه، ونضجت رؤية الشعراء فيه، وأصبح صالحًا للدراسة العلمية القائمة علىٰ التحليل والوصف والاستنطاق.

الكلمات المفتاحية: الوطن- الأمن الوطني- الشعر- السعودي- الدلالات- التقنيات.

National Security in Saudi Poetry: Its Implications and Techniques

Omar bin Abdul-Aziz Al-Mahmoud[1*], Qudas Bint Khalid Al-Khudairi[2]

[1] Department of Rhetoric and Criticism, College of Arabic Language, Imam Muhammad bin Saud Islamic University, Saudi Arabia.

[2] Department of Rhetoric and Criticism, College of Arabic Language, Imam Muhammad bin Saud Islamic University, Saudi Arabia.

[*]**E-mail For the lead author:**
oamahmoud@imamu.edu.sa

Abstract:

This study aims to promote and enhance a supreme value that is one of the most important and most fateful human values, namely the value of belonging to the homeland, rooting its love, loyalty to it, and achieving its security. Poetry in the Kingdom of Saudi Arabia has been prominently present in reinforcement such a value and enshrining it in the hearts of people through enormous poetic achievements that have filled the collections of Saudi poets. It was a living witness to the extent of their loyalty and belonging to their homeland, whether it was through singing the praises of the land in which they were born and raised, or in the form of letters of loyalty, obedience, and love to the rulers of this country who led it with wisdom, ingenuity, and integration with the people, or in the form of singing the praises of the achievements of the homeland, its glories, and the great deeds of its children. The study period was determined by the poetic achievements that were published during a quarter of a century between the years 1408 AH - 1433 AH. This is a stage in which the national poetry has become established, the poets' vision in it has matured, and it has become suitable for scientific study based on analysis, description, and interrogation.

Keywords: Homeland- National Security- Poetry- Saudi- Implications- Technologies**.**

يشكر الباحثون وكالة البحث والابتكار بوزارة التعليم في المملكة العربية السعودية لتمويل هذا البحث من خلال المنحة البحثية رقم **IFP-IMSIU-2023077** ، كما يشكر الباحثون عمادة البحث العلمي بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (**IMSIU**) لدعم هذا المشروع والإشراف عليه.

The authors extend their appreciation to the Deputyship for Research & Innovation, Ministry of Education in Saudi Arabia for funding this research through the project number IFP-IMSIU-2023077. The authors also appreciate the Deanship of Scientific Research at Imam Mohammad Ibn Saud Islamic University (IMSIU) for supporting and supervising this project.

المقدمة

الحمد لله الذي أشرقت بنور وجهه السماوات والأرض، ثم الصلاة والسلام علىٰ المبعوث رحمةً وهدىٰ للعالمين، نبينا محمد ﷺ، أما بعد:

فبين الشعر والوطن حالة عشقٍ خاصة، يتجلَّىٰ جمالها في دفق الروح الصادق، وتسرّب القلب مع الكلمات إلىٰ أقرب ورقة يتشكَّل فيها حضن الوطن، هناك حيث كلّ خفقةٍ تبعثُ حياة، وكل نَفَس يرسم سماء. وفي المملكة العربية السعودية لا يجفُّ الشعر ولا يغرب، بل يشرق مع الوطن ويتناغمان في موسيقا لها نكهة الخلود.

وتروم هذه الدراسة تعزيز قيمة عليا من أهم القيم الإنسانية وأكثرها مصيرية، وهي قيمة الانتماء إلىٰ الوطن، وتجذير محبته، والولاء له، وتحقيق أمنه وسلامته، ولقد كان الشعر في المملكة العربية السعودية حاضراً بشكل لافت في تعزيز مثل هذه القيمة وتكريسها في نفوس الناس من خلال منجزات شعرية ضخمة امتلأت بها دواوين الشعراء السعوديين، وكانت شاهداً ناطقًا علىٰ مدىٰ ولائهم وانتمائهم لوطنهم، سواء أكان ذلك بالتغني في حب الأرض التي ولدوا فيها ودرجوا عليها، أم كان علىٰ شكل رسائل ولاء وطاعة وحب لولاة أمر هذه البلاد الذين قادوها بحكمة وحنكة واندماج مع الشعب، أم كان علىٰ شكل التغني بمنجزات الوطن ومفاخره وأعمال أبنائه الجليلة، وهكذا.

والملحوظ أنَّ نغمة الحب والانتماء إلىٰ الوطن تعد واحدة من أبرز السمات المشتركة بين شعراء المملكة العربية السعودية علىٰ اختلاف مناطقهم، واختلاف مدارسهم الشعرية، وتنوع أغراضهم ومنجزاتهم.

من هنا تخلقت فكرة هذه الدراسة، واستوت شيئا فشيئا، ذلك أنَّ مثل هذا المنجز الضخم من شعر الانتماء الوطني لدىٰ شعراء المملكة العربية السعودية بحاجة إلىٰ من يسلط الضوء عليه بالدراسة والتحليل؛ ليضعه في سياقه المناسب نقديا، وليبرز تلك المكانة الرفيعة التي يتبوؤها الوطن في قلوب أبنائه وبناته المبدعين والمبدعات .

وقد حُدِّدت فترة الدراسة بالمنجزات الشعرية التي صدرت خلال ربع قرن بين عامي ١٤٠٨هـ -١٤٣٣هـ، وهي مرحلة استوىٰ فيها الشعر الوطني علىٰ سوقه، ونضجت رؤية الشعراء فيه، وأصبح صالحًا للدراسة العلمية القائمة علىٰ التحليل والوصف والاستنطاق. ولم أجد دراسة تهتم بهذه الفترة من مسيرة السعودي واستجلاء ملامح الأمن والوطنية فيه.

وتشتمل هذه الدراسة علىٰ تمهيد وفصلين قُسمت كالآتي:

الفصل الأول: دلالات الشعر الوطني في المملكة العربية السعودية: ويشمل خمسة مباحث هي:

المبحث الأول: تعزيز شعور الولاء والانتماء.

المبحث الثاني: الغيرة علىٰ الوطن.

المبحث الثالث: معالجة أحوال المجتمع.

المبحث الرابع: العلاقة بين الحاكم والمحكوم.

المبحث الخامس: الاغتراب عن الوطن والحنين إليه.

الفصل الثاني: تقنيات التعبير عن الوطن في الشعر السعودي: ويشمل ثلاثة مباحث هي:

المبحث الأول: اللغة الشعرية.

المبحث الثاني: الصورة والمخيال الشعري.

المبحث الثالث: الإيقاع الشعري.

وقد سرنا في هذه الدراسة وفق المنهج الإنشائي بغية الوصول إلىٰ خصائص النص الشعري ومميزاته، وذلك من خلال القراءة التأويلية واستنطاق الدلالة. وبعد، فلا شك أن البحث في أمر الوطن والشعر يتوسَّع ويمتدَّ ويتشعب ويطول، لكنه يصبُّ ختامًا في جوهرٍ واحد، هو الحب، أرجو أن يلهمنا الله الوصول إليه، وأن نوفّق في تقديم هذه الدراسة علىٰ الوجه الذي يليق.

التمهيد

الشعر والوطن: ثنائية التواشج والتلاحم

جُبل الشعراء علىٰ التغني بأوطانهم، والتعبير الدائم عن حبهم لها، متمثلين في ذلك كثيراً من المعاني والدلالات المهمة، التي تكاد تكون صفة وميزة مشتركة بين معظم الذي تناولوا عشق أوطانهم شعراً، ومن ضمنهم بطبيعة الحال الشعراء السعوديون.

والمتأمل لأبرز الموضوعات التي يطرقها الشعراء ويهتمون بها في قصائدهم الوطنية يجد أنها تدور أيضًا حول موضوعات مشتركة إلىٰ حدّ كبير، لكن التفاضل والاختلاف يأتي بحسب طبيعة هذه الأوطان، إما علىٰ الصعيد الجغرافي، أو التاريخي، أو الحضاري، أو المكاني، أو علىٰ صعيد الأحداث، وكل شاعر يستمدّ الموضوع بطريقته، ويُقدِّمه فنيًا حسب رؤيته الخاصة، ومن منطلقاته الوطنية التي تأتي دائمًا مصحوبة بالولاء والانتماء، منطلقةً من عاطفةٍ وطنيةٍ صادقة، ومعبرةً عن حالة حب وشغف حقيقية تربط الشخص بوطنه.

واللافت في تجارب أولئك الذين كتبوا عن أوطانهم هو تناولهم لمعنىٰ الوطن علىٰ مستوىٰ الدلالات الشعرية التي يُقدّمونها، هذا التناول الذي يفرضه في كثير من الأحيان وضع الوطن والأحداث التي تدور فيه، وحالة الناس، وارتباطهم به، من حيث التاريخ والجغرافيا والروح؛ لأنَّ البعد الروحي غالبًا هو الذي يحرّك الشعر أن يفجّر طاقاته، وأن يستلهم الحياة والحلم والأمل والحب، وربما الحزن والألم والوجع، بحسب ما تقتضيه حالة الوطن.

والجميل المهم في الشعراء السعوديين هو سيادة حالة الحب والانسجام والغرام مع الوطن، ولذلك نجد أن مشاعر الحب دافقة وحاضرة في كل الموضوعات التي تناولت الوطن سواء كانت علىٰ سبيل الدفاع أو الغيرة أو الحب أو التفاخر.

إن ارتباط الشعراء بأوطانهم قديم قدم الإنسان، ويصعب بل يستحيل أن تجد فترة زمنية، أو عصراً شعريـًا يخلو من ملمح البيئة والمكان في حال دراسته، وهي تشكّلات مختلفة علىٰ مستوىٰ المصطلح والمفردة لكنها تصبُّ جميعـًا في معنىٰ واحد، هو الوطن.

الفصل الأول: دلالات الشعر الوطني في المملكة العربية السعودية

يـا طـائراً لا يخـاف الـريح إن عصـفت ... ولا يهـاب المنايـا في خطـىٰ الـزمنِ
أسرىٰ بك الشوق من شرق البلاد إلىٰ ... غروبهـا موجـة حمـراء تسـندني
لله هـذا العنـاء الرحـب.. يـا فرحـي ... ويـا جنـوني ويـا سـري ويـا علنـي
تجملـي بـأريج الحلـم وانتشـري ... سـحابة تحمـل الأمطـار للـوطنِ [1]

في مزج شعري إنساني مهيب يقدم لنا (علي الدميني) نداءً من محبسه إلىٰ أبناء الوطن، حيث يظل الوطن قائما بالنفس، في كل مراحل الشعور الإنساني، وما أجمله ذلك الشعور، حين يصب في قالب إبداعي أصيل.

ويعد (الشعر) من أبرز الصور الفنية التي تترجم ما بالنفس من شعور، فهو مرآة المجتمع، يأخذ منه، ويصب فيه، يؤثر فيه، ويتأثر به، والشعراء هم ضمير الأمة، وهم القادرون علىٰ عقد معادلة صعبة بين الإبداع، وبين جهات التلقي، ومن ثَمَّ كانت أهمية ذلك الجزء من البحث، حيث يوطد في النفس غريزة (حب الوطن) من خلال عدة محاور تتحدد علىٰ النحو الآتي:

---

(١) علي الدميني: زمن للسجن أزمنة للحرية، دار الكنوز بيروت، ط١ سنة ٢٠٠٤م، ص٩٧

المبحث الأول: تعزيز شعور الانتماء والولاء للوطن

تقف القصيدة العربية بصفة عامة -والسعودية علىٰ وجه أخص- متحدية هوة العولمة نحو ثبت الهوية والانتماء، فنجد كثيراً من الأشعار تفوح منها رائحة الوطن، ذلك الذي قد لا يأتي ذكره صراحة، فقد يأتي في صورة مفرداته، الحبيبة، الأماكن، الطبيعة، الاغتراب والحنين، وذلك يؤكد علىٰ محبة الوطن، تلك السمة المطبوعة كالوشم في ضمير أبنائه منذ قديم الأزل، فهو ثابت غير قابل للتحول، ومن ثَمَّ اتجه الشعراء في أشعارهم نحو ترسيخ شعور الولاء والانتماء لهذا الوطن، كرد فعل لمواجهة طوفان كل ما هو مستحدث "فالسعي إلىٰ إثبات الهوية والوجود في هذه الزحمة باستنطاق الجذور والامتداد بزمن الماضي في أفق الحاضر، قد جعل الشاعر ذاته أمام العالم بحاجة إلىٰ إعادة اكتشاف، بفيض من العلوم أخذت تتغلغل في أعماقه"[(١)].

وهكذا نجد القصيدة الجديدة وقد اتجهت بقوة إلىٰ اللغة تعيد توظيفها بسياق حديث، مستحضرة أجواء الوطن بسياقاتها المتعددة، فنجد (محمد الثبيتي) يقف مخاطبًا ذاته في ذلك (الفارس البدوي)، وينادي أبناء الوطن كله، حيث يقول:

حسنًا أيها الفارس البدوي..
هل تجرّعت حزن الغداة؟
وصبر العشي..
أرىٰ وجهك اليوم خارطة للبكاء..

---

(١) عالي سرحان القرشي: علاقة القصيدة الجديدة في المملكة العربية السعودية بالتراث، مجلة قوافل، ع١، السنة الأولىٰ، النادي الأدبي بالرياض، ١٤١٣هـ، ص٢٧-٤٨، نقلاً عن موسوعة الأدب العربي السعودي الحديث، المجلد الثامن/ الجزء الثاني (الدراسات والنقد الأدبي)، دار المفردات للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢٢هـ، ص٦٨٤.

وعينيك تجـري دمـًا أعجميْ[١]

فقد تذبذب الشعور الوطني بين شعورين يتمثلان في الخوف من طوفان القادم في مواجهة تأصيل الهوية، وفي النص السابق يستدعي الشاعر مفردات ثبت الهوية، وهنا تصبح (البداوة) مفردة دالة علىٰ الأصالة، والتمسك بالعروبة والافتخار بها، وقد تلونت المفردات لتقرب من ذلك (الطلل) والبكاء عليه مستحضرة الماضي وأمجاده.

أما (سعد الحميدين) فيقف ممازجًا بينه وبين البيئة الصحراوية حتىٰ تماهىٰ معها، وهنا تصبح (الصحراء) معادلاً موضوعيًا للعروبة كلها، ولأرض المملكة العربية السعودية بصفة خاصة، حيث يقول:

أنا الصحراء..
هاتي أنت..
قولي..
وانثـري ما شئـتِ[٢]

"فها هو (سعد الحميدين) يصطفي من الموروث ما يمزج به اللغة الشعرية لقصيدته، فتنصهر القصيدة بذلك الموال والهاجس الراحل في الخاطر والوجدان الذي يتفق أحيانًا عن امتزاج بعوالم القصيدة: الأرض، النبات، الناس، الحيوان، الأشياء، وكأن اللغة تنصهر بما يتبع من علائق الإنسان مع العالم حوله في هذه

(١) محمد الثبيتي: التضاريس، النادي الثقافي الأدبي بجدة، ١٤١٣هـ، ص٨٥.
(٢) سعد الحميدين: ضحاها الذي، الرياض ط١، ١٤١٠هـ، ص٨٤، ٨٦.

الرحلة التي تصل إلىٰ مكونات البعد الثقافي للقصيدة"[١]، فيقف الشاعر السعودي موقف الفخر بانتمائه لتلك الأرض الصحراوية وبدويته الأصيلة.

ويقف (علي الدميني) معلناً أنه فداء للوطن، ولتلك الصحراء التي عشقها منذ نعومة أظافره في حوار له مع "طرفة" ذلك الرمز الشعري العربي بامتياز، فيقول:

أقدّم فداء وطني..

وذي الصحراء أجمع طيرها في القلب..

ألتحف السماء وأشرب الأيام..

أعصر منحنىٰ الأوجاع...

تفردني..

فأعشقها..

وتلمسني فأقربها..

وتنحسر العداوة[٢]

لقد قدَّم (علي الدميني) الجنوبي مشهداً رائعاً للفداء الإنساني والمعنوي، وصورة من صور عشق الوطن، ولا يقل ذلك العشق عند (عبد الله الصيخان) الذي وقف مفتخراً بأصوله، ومعتزاً بانتمائه لأرض (الجزيرة)، حيث يقول:

وتسألني عن أبي...

كان نهراً من الضوء والأسئلة...

(١) عالي سرحان القرشي: علاقة القصيدة في المملكة العربية السعودية بالتراث، مرجع سابق، ص٦٩٧.

(٢) علي الدميني: رياح المواقع، ط١، سنة ١٤٠٧هـ، ص١٤.

كان يعشق طين الجزيرة حتىٰ البكاء...

ويروي عن الموجة المقبلة[١]

"وهكذا نجد القصيدة الجديدة التي أقام بعضهم الدنيا وأقعدها، يخشىٰ منها علىٰ التراث والانفصال عنه، فيسمها بالتجاوز، أو يقدّم نصحًا حانيًا بعدم الإفراط في ذلك، نجدها تتعمق التراث حيث تجعله مشكلاً لبعد يشغل ويوجه مرتاديها، فيتفاعل المبدعون مع ذلك البعد، ويجسدونه علىٰ نحو حضوري مدهش"[٢].

ولم يكن هذا الولاء والانتماء جديداً علىٰ شعراء المملكة، فلطالما جسدت القصيدة السعودية ورصدت صوراً عدة من صور الحس الوطني، فيقول "محمد علي السنوسي" في قصيدته "البيعة":

نهضت وفي قلب العروبة لوعة ... وتلوب في جفن الجزيرة أدمعُ

وفي كبد الغراء من حرقة الأسىٰ ... شواظ يدمي أو لهيب يلذعُ

فأشرقت إشراق الصباح متوجًا ... بك التاج يزهو بك العرش يفرعُ

ولاحت علىٰ الآفاق أنوار طلعة ... لها من سماء الملك برج ومطلعُ[٣]

وتلك الرؤية للوطن هي ما دفعت الشعراء لحالة غيرة مستمرة عليه من كل وافد علىٰ طبيعته، والذي عبر عنه الشعراء بدقة كما سيأتي في المبحث الثاني.

(١) عبدالله الصيخان: هوامش في طقس الوطن، دار الآداب، بيروت سنة ١٩٨٨م، ط١، ص١٢، ١٣.

(٢) عالي سرحان القرشي: علاقة القصيدة الجديدة في المملكة العربية السعودية بالتراث، مرجع سابق، ص٧٠٠.

(٣) محمد بن علي السنوسي: الأعمال الكاملة، نادي جازان الأدبي، مطبعة الروضة، جدة سنة ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م، ص٤.

المبحث الثاني: الغيرة على الوطن

اتخذ شكل الغيرة علىٰ الوطن نمطًا مختلفًا عن الشكل السائد لدىٰ كثير من الشعراء في مختلف البلدان العربية الأخرىٰ، "فقبل الإعلان عن توحيد المملكة العربية السعودية... ظلت الثقافة الغربية هاجسًا وحضوراً أساسيا في آدب المنطقة، تماما مثلما كانت وما تزال في الأدب العربي عموما، وكان من الطبيعي أن يستشعر أبناء المنطقة ذلك الهاجس أو أن ينتقل إلىٰ نتاجهم الأدبي الجديد في سياقه العربي المحيط وأن يشغلوا به كتابا ومثقفين مثلما شغل به غيرهم في قطاعات الحياة الأخرىٰ، وأن يفكر الجميع في السبل المثلىٰ للتعامل مع مؤثراته القوية، سواء كان حافزهم الأول هو الإفادة القصوىٰ، أو التحوط الأقصىٰ"(١).

وعلىٰ هذا الأساس اتخذ شكل الغيرة علىٰ الوطن نمطين أساسيين في ثقافة الشاعر السعودي:

الأول: سعىٰ بعض الشعراء نحو "المثاقفة" مع التيار الغربي بهدف الإفادة منه، واستحضاره ثقافيا، ونقله من سياقه إلىٰ سياق "التوظيف" الشعري في القصيدة السعودية باستدعاء بعض مفردات ثقافته وتطويعها والإفادة منها.

والثاني: الحذر منه، ومن ثم الفرار نحو التراث بقوة واستحضار الماضي بكل أشكاله وصوره، بداية من التمسك بالقالب الشعري القديم، إلىٰ المعجم الشعرية القديم كلية.

فنقرأ مثلاً في قصيدة لـ(حسن السبع) ذلك الخطاب الاستغرابي في مجموعة قصائده (محطة الفلامنكو الأخيرة)، فنجده في "نيويورك" مزهواً بحضارتها، لكنه

(١) عالي سرحان القرشي: علاقة القصيدة الجديدة في المملكة العربية السعودية بالتراث، مرجع سابق، ص٥٣٠.

بالآن ذاته يقاربها حضاريا من أمجاد العروبة البائدة حين تذكره بأمجاده (بلاد الأندلس)، فتراه محافظًا علىٰ هويته العربية في قصيدته (قمر) إذ يقول:

كنت أبحث في نظرات اللواتي...

يراقبن صمتي...

عن عيون "قمر"

سائح من "نيويورك" يضحك في ساحة

القصر...

وقلبي علىٰ ساحة القصر يبحث عن..

أمسه المنتظر..

كـــان لا بـد أن أتمنـىٰ[1]..

فالشاعر هنا في حالة مقارنة دائمة بين واقعين، فلا يقف منبهراً بقدر ما يقف مقارنًا متمنيًا عودة أمجاد عروبته، فالقمر هو الأمس المنتظر، هو الأندلس التي غابت في الماضي والحلم معا.. ويستمر خطاب (السبع) في قصيدة أخرىٰ عن "زرياب" يقول في أحد مقاطعها:

أدوزن تأبين زرياب..

وقد شنقته (أوروبا)..

عند مدخل البهو..

في سوقها المشترك"[2]..

(١) سعد البازعي: بين المثاقفة والتوظيف الخطاب الاستغرابي في الشعر السعودي، مجلة جامعة الملك سعود، ج٩، الآداب (١١) جامعة الملك سعود الرياض، ١٤١٧هـ، ص٤٢٧-٤٤٦، نقلاً عن موسوعة الأدب العربي السعودي، المجلد الثامن، مرجع سابق، ص٥٧٠.

(٢) حسن السبع: زيتها وسهر القناديل، مطابع البكيرية، الدمام، ١٩٩٢م.

لقد سعىٰ الشعر السعودي نحو التوظيف المعرفي والخطاب الثقافي الغربي في شكل جديد حيث أنعم الله علىٰ أرض المملكة العربية السعودية بالأمن والأمان، مما جعل الغيرة علىٰ الهوية سمة واضحة في كثير من أنماط الخطاب الشعري الحديث.

أما النمط الثاني، فلم يقبل الثقافة الغربية، ولم يمتصها، وراح يفر نحو التراث بأدق صوره، "فها هو (سعد الحميدين) يستحضر صورة (سعاد)، تلك الأيقونة العربية، لتحكي فجيعتها بالحاضر، وهذا الاستحضار وعي بقيمة ذلك الرمز الشعري التاريخي إذ كانت المرأة المعشوقة... ولقد استحضر سعد هنا رمز سعاد، وسعاد لها دلالاتها علىٰ السعادة وتفاؤل الصورة أمام الشاعر، (وسعاد) هي ذلك الرمز الذي استخدمه (كعب بن زهير) حين استجار بالرسول ﷺ"[1].

فمنها نرىٰ (سعد الحميدين) يقيم علاقة واضحة بين الماضي والحاضر، فيقف مفاخراً بعروبته، وبالمعجم الشعري القديم، فيقول في قصيدته (عندما بانت سعاد):

اجترار...

بين وقت.. ووقت قصير...

تطل سعاد...

تبين ... ملفعة بالفرح...

غير أن ألـ (سعاد)...

إذا ما أطلت..

(بانت) بيوم شحيح القبول...

فلا يرحب... أو يستجيب...

وتأتي سعاد...

وتحدو القطيع...

(١) سعد البازعي: بين المثاقفة والتوظيف، ص٥٩٤.

إلىٰ حيث يمكث الرفاق...

ولا مـن.. يقابلهـا.. أو يرحب[١]

(فسعاد) هنا رمز للعروبة والتاريخ، فقلبها مثله، ينتفض علىٰ حلم العروبة، تغار معه علىٰ وطنه، وهنا يقول علىٰ لسانها:

أتيتُ إليكم وبي منكمُ غلة...

أتيتُ إليكم وقلبي يفيض...

أتيت...

أنتم الأهل...

والأقربـاء[٢]

فحركة الشاعر في غيرته علىٰ وطنه حركة تردية بين ثقافتين وزمنين وبيئتين يقف دومًا مقارنًا، بين حال مجتمعه وحال المجتمعات الأخرىٰ ومن هنا فإن التعبير عن أحوال المجتمع كان سمة واضحة عند أغلب شعراء المملكة كما سيأتي في المبحث الثالث.

(١) عالي القرشي: علاقة القصيدة الجديدة في المملكة العربية السعودية بالتراث، مرجع سابق، ص٦٩٥.

(٢) سعد الحميدين: خيمة أنت والخيوط أنا، دار الوطن، الرياض سنة ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م، ط١، ص١٢.

المبحث الثالث: معالجة أحوال المجتمع:

كما ذكرنا آنفا فإنَّ الشعر مرآة المجتمع، والشعراء ضميره، وعلىٰ هذا "فالأسئلة الخاصة بمفهوم القصيدة العربية الحديثة لا تنفصل عن الأسئلة التي تمس المشروع العربي في العمق ومشكلات سيرورته الاجتماعية والتاريخية والثقافية"(١).

لقد عاشت القصيدة السعودية وانخرطت بأجواء المجتمع في أدق صوره ومشكلاته، فقد عالج فكرة الانكسار والضعف، حيث كان دوما يحمل إلينا الأمل لغد أفضل، فيقول (محمد الثبيتي):

سألقاك..

يا زمنًا يتجدد دومًا

ويمتد فوق حدود القمر

سألقاك

أعرف إن الطريق إليك...

مرافئ للحزن...

وأرصفة للسراب...

وأن مسافاتك الدائرية..

تتعب فيها جياد السفر..

وأعلم أنك هاجرت في ذاكرة الرمل..

أزمنة وعصوراً..

(١) عالي القرشي: علاقة القصيدة الجديدة في المملكة العربية السعودية بالتراث، مرجع سابق، ص٦٩٧.

تعُبٌّ لهاث الهجير..

ولم تتعود شرب الهزيمة[١]..

"فالشاعر في محاولته المستمرة للكشف عن الجوانب الجديدة في الحياة، وللكشف عن صورة هذه الجوانب الجديدة داخل وعيه الفردي والجماعي، وصورتها المنصهرة مع مكونات لا واعية يحاول باستمرار الكشف عن لغة جديدة"[٢].

فالشاعر نبض المجتمع يعبر عنه بصدق، عن هواجسه، يقترب من أدق تفاصيله الملتصقة بروحه، وها هو (سعد الحميدين) يمزج بين قصيدته ومفردات المجتمع في أدق صوره ويفصح عن هواجسه فيقول:

يفوح المسك والعنبر..

تضوع الساحة الحبلىٰ..

من نفل ومن شيح..

عرار كان بينها..

فيهجع هاجس أول[٣]..

(١) محمد الثبيتي: تهجيت حلمًا، ص٤٣.

(٢) مصطفىٰ خضر: الشعر والهوية، دار الذاكرة، سوريا، نقلاً عن مراجعة: صفوان سلمان، جريدة الحياة، ع١٠٦٦٢، ١٨/ ٤/ ١٩٩٢م.

(٣) محمد الثبيتي: تهجيت حلمًا، تهيجت وهما، الدار السعودية للنشر، ط١، ١٤٠٤هـ، ص١١، ١٢.

ومع التطور المادي والمعرفي للمجتمع بدأ الشعر الحديث في رصد القضايا العامة، حيث بدأ الكثير من أبنائه الانتقال نحو بيئات أخرىٰ كالانتقال من القرىٰ إلىٰ المدن أو الانتقال إلىٰ خارج الوطن بحثًا عن المزيد من الارتقاء الحضاري، ومن هنا أصبحت قضايا الاغتراب والحنين الوطن تاج تطور البيئة الاجتماعية والمعرفية.

المبحث الرابع: الاغتراب والحنين إلى الوطن

يلتصق الإحساس بالغربة بجوهر العملية الشعرية ذاتها، حيث تتصارع بداخل الشاعر مشاعر الفقد والحنين، وقد تكون الغربة معنوية في محاولات الشاعر المستمرة لإدراك ما لا يدرك وذلك الصراع الدائم ما بين (الواقع والمثال) الذي يعدو حلمًا بعيداً لا يتحقق إلا عن طريق (الخيال الشعري)، وهنا يصبح الشاعر قادراً علىٰ فك حصار غربته عن طريق تأصيل عودته نحو ذاته ووطنه وكيانه، وقد عبر الشاعر السعودي عن مخاوفه تجاه الغربة، وأحيانًا نراه يلح عليها ويدعو لها، فيقول (حسن القرشي) :

اتركيني لوحدتي، لاغترابي ... لعذابي، إني ألفتُ عذابي
اتركيني ولا تبالي بدمعي ... إن فيض الدموع أصفىٰ شرابي
اتركيني ولا تقولي كئيب ... خير زادي توجُّعي واكتئابي

والمتأمل في شعر حسن القرشي يلمس الاختلاف المرحلي والفني، فدواوينه الأولىٰ تطفح بالرنة الوجدانية، والنبرة الرومانسية الحالمة، التي تصور مغامرة الصبا ولهو الشباب، ويجاري فيها حركة التحديث والتحول التي أثارها الشعر المعاصر في الثقافة العربية في ذلك الوقت(١).

وتتمثل (الغربة) في القصيدة الحداثية في نداء الغائب ومخاطبته في صور عدة؛ في حبيبته أو في بعض المفردات الذائبة في نسيج الوطن، فنرىٰ (محمد الثبيتي) يقدم برقية من برقياته إلىٰ غائبة، متذكراً مفردات بيئته مع وعد لها بالعودة، حيث يقول:

أجيء إليك..

(١) السعيد الورقي: لغة الشعر العربي الحديث، النادي الأدبي الثقافي، جدة، ١٤٠٨هـ، ص٣٣٥.

مع الغيث أهمىٰ..

وأبذر بين جراحك أسمىٰ..

أجيء..

وفي قسماتي..

يعرش كرم..

ويثمر نخل..

وتغرق في خطواتي سواحل[١]

ومن غياهب السجن نرىٰ (علي الدميني) ينادي أهله وعشيرته في قصيدته (نهر الغياب) حيث يؤكد ويلمِّح علىٰ غربته النفسية -والتي لا مفر لها سوىٰ مفردات الوطن- فيقول:

أشرعتُ بابي علىٰ الأحباب فانهدمت ... معابد الشوق في عمري، بلا ثمنِ

واستوحش القلب من صمت الأحبة من ... منامهم، مثلما الأحجار في المدنِ

ورحت أسأل هل صوتي به صمم ... أم أن (ربعي) مضوا للشام أو عدنِ

نهر الغياب، غياب النهر، وا آسفي ... لبارقٍ غاب في سيمائه الوثني[٢]

ويقول (منصور الحازمي) في قصيدته (عودة الغريب) معبراً عن لحظة متفردة تمازج بين مفردات الشعر وأدواته وفرحة عودته للوطن:

(١) سعد الحميدين: ضحاها الذي، ص٨٤، ٨٥.

(٢) عبدالله سالم المعطاني: رؤية أولية في شعر حسن عبدالله القرشي، بحوث المؤتمر الثاني للأدباء السعوديين في مكة المكرمة، ٥-٧ شعبان، ١٤١٩هـ، ج٤، جامعة أم القرىٰ ١٤٢٠هـ، ص٢٠٥-٢١٧ نقلاً عن موسوعة الأدب العربي السعودي الحديث، مرجع سابق، ص٧٨٢.

أجل.. قد عدت من سفري

بأوصالي..

ولون الليل في حدقي..

ورعشة بأطرافي..

تظل برغم دفئ الناظرين تغطُ في السهر..

فإني عدت من أمسي..

بذكراي الرمادية..

ومن ثلج الشتا أثرٌ علىٰ حسبي..

علىٰ ورقي..

علىٰ أشياء ظامئة إلىٰ أرقي..

وتحسو القاني الدامي[١]

ومع الإحساس بالاغتراب ينمو الحنين للوطن والعودة إليه من خلال استحضار صوره المضيئة، ومن أجلِّ صوره المضيئة صور حكامه ففيهم تتوحد مفردات الوطن حيث يصبح (الحاكم) رمزاً شعبيًا، ومن ثّمَّ أصبح الشاعر مدركًا مدىٰ العلاقة الوثيقة بينه وبين حاكمه، كما سيأتي في المبحث الخامس.

(١) محمد الثبيتي: تهجيت حلمًا، ص٣٧.

المبحث الخامس: العلاقة بين الحاكم والمحكوم

تختلف العلاقة بين الحاكم والمحكوم في أرض المملكة العربية السعودية عن مثيلاتها في شتىٰ بلدان العالم؛ حيث إن الحاكم ليس حاكما فحسب، بل هو المتحدث باسم الشرع والعرف والدين والعدل، وكثيرا ما تماهت صورة الحاكم عند الشعراء في صورة المملكة نفسها، أو صورة الدين الإسلامي في سياق يمزج حب الوطن وأرضه بحب حكامه، وتلك سمة واضحة عند أغلب الشعراء بأرض المملكة العربية السعودية، في سياق الشعر المرتبط بمناسبات وطنية تخصُّ المملكة، أو مناسبات "البيعة"، وعلىٰ هذا فنحن في هذا السياق لن نحدد الأشعار التي ترتبط بحاكم بعينه في أرض المملكة العربية السعودية، حيث إن الحاكم هنا هو رمز "استقام فيه شعار الدين، وأمن الغريب، وحل العدل في ربوعها، فهو سيف يدور حينما حل الناس وأينما استقروا"(١).

يقول (محمد علي السنوسي) قديمًا، مادحًا سمو الملك (عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود) رحمه الله، سنة ١٣٥٩هـ/ ١٩٤٠م:

هـذا المقـام وهـذا المحفـل النضـرُ ... يزهـو برونقـه البـاهي ويزدهـرُ
وقلت من عجب: هـذىٰ الجنود لمن ... تصـطف قائمـة والبـدو والحضـرُ
وقـد أرىٰ النـاس غضـت مـن مهابتهـا ... مـن كـل وجـه عيونـا مـا هـو الخبـرُ
قالوا: رقىٰ العرش من أمست تدين له ... ربيعـة وبنـو قحطـان والمضـرُ
(عبـد العزيـز) الإمـام المرتضـىٰ خلقـًا ... وسـيرة يرتضـيها الله والبشـر (٢)

(١) علي الدميني: زمن للسجن، أزمنة للحرية، مرجع سابق، ص١٩٦.
(٢) أشواق وحكايات: دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض سنة ١٩٨١م، ص٨٧، ٨٨.

وفي صورة أخرىٰ يمزج الشاعر (حسن الصلهبي) في قصيدته (سعودية المجد) بين كل من أرض المملكة العربية السعودية وبين الحاكم فيها، فكلاهما وجهان لعملة واحدة فيقول في لغة جميلة مطعمة بصور فنية متألقة:

سعوديةٌ رغم أنف العداة ... ورغم الحسود، ورغم الغضبْ
ورغم مزاعم كل الوشاة ... ستبقىٰ منارة كل العربْ
ورغم الذي يدعو فإنا ... لها في اشتعال الحروب حطبْ
سعودية صنع (عبدالعزيز) ... كريم الخصال بعيد الأرَبْ
كساها رداء الشريفة فاس ... تطابت وعمَّ النماءُ ودبّ
وذوّب في مجده مجدها ... وجملها بالنهىٰ والأدبْ
فأضحت كحورية من خيال ... وأسطورة من كتاب العجب[1]

نرىٰ الشاعر وقد مازج بين حب الوطن وغيرته عليه، في مواجهة نظر الكون له، وهو مستعد لتقديم روحه فداء لترابه، والحاكم هنا هو رمز لكل الحكام ولا سيما أنه مؤسس الدولة وعمودها، تتماهىٰ فيه كل التفاصيل لتصنع أيقونة محبة ووفاء[2].

ونختتم سياق الحديث عن علاقة الحاكم بالمحكوم بتلك القصيدة الشهيرة للشاعر المُجيد (جاسم الصحيِّح) التي ألقاها بحضرة الملك (عبد الله بن عبدالعزيز) رحمه الله خلال استقباله للوفد القادم من المنطقة الشرقية، وهي تعكس صورة الدفء والمحبة والأبوة بين الحاكم والمحكوم، ويقول فيها[3]:

(١) عبدالله بن محمد أبو داهش: نشأة الأدب السعودي المعاصر في جنوبي المملكة العربية السعودية (تهامة وعسير) سنة ١٣٥٢-١٣٨٠-١٩٢٢م-١٩٦٠م، ص١٣٧، ١٤٨.

(٢) علي بن محمد السنوسي وآخرون: شعراء الجنوب، مطبعة الكمال، عدن، ص٤.

(٣) حسن الصهلبي: سعودية المجد : www.alsalhbi.com

مـــن غيمـــةِ اســـمك يقطـــر الإلهـــامُ فـــإذا الخيـــال بنفســـج وخـــزامُ
وطـــن تـــدلله الســـماء فلـــم يـــزل طفـــلاً بحضـــن الأنبيـــاء ينـــامُ
نشـــوان تخدمـــه الملـــوك كأنـــه ملـــك علـــىٰ تيجـــانهم قـــوَّامُ!
يـــا (خـــادم الحـــرمين) بـــورك مـــوطن في العـــالمين ملوكـــه خُـــدَّامُ!

لقد تمازجت وحدة الوطن بصورة الملك وصورة الإسلام، حتىٰ وصلت لأكمل صورة من صور المحبة بين الحاكم: والمحكوم، فيقول (الصحيِّح) في نهايتها:

فاكمـــلْ بشـــعبكِ تكتمـــل فلطالمـــا نقصـــت بغيـــرِ شـــعوبِها الحكـــامُ[1]

فالحاكم والمحكوم من نسيج الوطن، نسيج واحد علاقة اكتمال وانصهار وذوبان، وكلاهما بالآخر يكون في إطار من المحبة والألفة والدين.

(١) المرجع السابق.

الفصل الثاني: تقنيات التعبير عن الوطن في الشعر السعودي

يبدو عنوان الفصل مثيراً إلىٰ الحد الذي يجبرك علىٰ خلع عباءة التنظير، والبدء في تنقيبٍ من نوع آخر، مختلف تمامًا عن سابقه.

ثمة امتزاج مهم وحيوي بين الشاعر وفطرته وبين الناقد واتكائه العلمي علىٰ نظريات وآليات لا يمكنه -علىٰ الصعيد العملي- الفكاك منها، ولذلك ما يعتقد الشاعر أنه اليقين حين ينتهي من إنضاجه نصّه، قد يعيده الناقد إلىٰ مربع الشكّ الأول، والعكس وارد تمامًا في ذلك.

من هنا نقرأ مفردة (التقنيات)، تلك التي تشعرك بكينونة القصيدة، وأن مضمونها ليس مجرد إحساس، أو كلام، وإنما هناك أسرار علىٰ مستويات اللغة والتجربة والخبرة والفن والمهارة تحتاج استنطاقًا حكيمًا، يخرجها من حالة الاحتفاء إلىٰ الاحتفاء، ولكن بشكل آخر لا يشبه الأول إطلاقًا.

والشعراء السعوديون في تعبيرهم عن الوطن لم يركنوا إلىٰ التكلف لصنع التقنية، ولم يصبغوا نصوصهم بمشقة الكتابة كي يصلوا إلىٰ مرحلة تعجب الناقد وترضيه، إنما أرخوا العنان -كل العنان- لسليقتهم، لإيمانهم، ليقينهم أن شيئًا جميلاً سيُكتب.

أطلقوا الخيال ولم يُخرسوا الواقع، تغنّوا بجمالٍ لغوي وأدبي رفيع ولم يكبروا علىٰ النص، تعاملوا مع الوطن كبقعة ضوءٍ واحدة، فانساقت الأبيات وتسابق الجمال.

الملحوظة الأعظم أن التغنّي بالوطن أتىٰ موسيقيًا حتىٰ النخاع، ليس ذلك فحسب، بل الموسيقا بحضورها العريق الأصيل، المتجذّر أصلاً في بنية القصيدة

العربية، كان ذلك من خلال النص العمودي/ الخليلي وكأنهم يعيشون حالة الإيقاع الروحي والشعوري وهم يتناولون الوطن كحالة حب وحياة. فمن النادر أن تجد نصّـًا وطنيـًا تفعيليـًا، ومن النادر أكثر وربما وصل حدّ العدم أن تجد نصّـًا وطنيـًا كقصيدة نثر، ليس لسوء في الاثنين، وإنما لحاجة في حالة التعبير الذي يأتي في غالب أحيانه إيقاعيـًا راقصـًا.

وسوف يتضمن هذا الفصل ثلاثة مباحث رئيسة يأتي المبحث الأول ليتحدث عن اللغة الشعرية ومستوياتها الدلالية، والفرق بينها وبين اللغة السردية، ولغة الخطاب العام، ثم يأتي المبحث الثاني متحدثا عن الصورة والمخيال الشعري، معرجـًا علىٰ الصورة الفنية والفرق بين الصورة الجزئية والكلية، وأخيراً المبحث الثالث عن الإيقاع الشعري، وفلسفته، وسوف نحاول دعم هذا الفصل بالتطبيق علىٰ قصائد شعرية معاصرة لشعراء سعوديين، محاولين استقصاء تجليات هذه المباحث الثلاثة في الشعر ومدىٰ وعي الشعراء بها.

المبحث الأول: اللغة الشعرية

سوف نقوم بتحليل لغة خمس قصائد لشعراء من المملكة العربية السعودية، قارب فيها الشعراء موضوع الانتماء إلىٰ الوطن، وحب هذا الوطن، متغنين فيها بجمال الوطن وتاريخه المجيد وشجاعة رموزه، وسوف تكشف الدراسة عن جماليات اللغة في هذه القصائد، وهل استطاع الشعراء التشكيل الفني باللغة وانحازوا للتجديد، أم التزموا بالقاموس التقليدي للشعر العربي القديم، ولم يضيفوا إليه جديداً، وهذه القصائد الخمس هي: قصيدتا "الوطن بأبجدية ثانية"، و"حكاية ملهم" لجاسم الصحيح، ثم قصيدة "إمام العاشقين "لعيسىٰ جرابا، ثم "أغنية الوطن" لعلي محمد صيقل، وأخيرا قصيدة "حبيبتي هذه الأرض"لإبراهيم صعابي.

اللغة الشعرية في الوطن بأبجدية ثانية:

القصيدة الأولىٰ هي "الوطن بأبجدية ثانية" لجاسم الصحيح، حيث يعمد الشاعر في هذه القصيدة ذات النفس الطويل إلىٰ التشكيل اللغوي، ورغم أن الموضوع مطروق من قبل الكثير من الشعراء علىٰ مر العصور، فلا يوجد شاعر منذ أن تشكَّل الوعي بالأوطان إلا وكتب عن الوطن، منهم من صوَّر الوطن حبيبة يعشقها، ومنهم من تحدث عن رموز الوطن، من ملوك وأمراء وولاة عهد، ومنهم من تحدث عن الوطن المكان بتفاصيله وحدوده الجغرافية وتاريخه القديم والحديث، لكن الصحيح في هذه القصيدة يغاير الشعراء ويتمايز عنهم، فقد كتب قصيدة تأملية، تأملية للذات الإنسانية واستقصاء مشاعرها تجاه تلك المعاني من حب وخير وجمال، من ولاء وانتماء، من عشق وشغف بالأوطان، فالوطن بالنسبة

له تحول إلىٰ مزار مقدس، نصبه الشاعر، ليس في المكان الجغرافي المعهود، إنما بين الضلوع، وفي الحشا يقول [١]:

وطني أقمتك في حشاي مزارا ... ونصبت حولك أضلعي أسوارا
ورفعت ذكرك قبة محروسة ... بهواجس في جانحي سهارىٰ
في نشرة الريحان كل عشية ... يتلوك مذياع الشذىٰ أخبارا

رفع الشاعر اسم الوطن عالياً محلقاً مثل قبة عالية، وما للقبة من دلالات السمو والسموق، نرىٰ هنا أن الشاعر استخدم مفردات ذات أكثر من بعد دلالي، فالمزار يشير إلىٰ التقديس والتعظيم والقبة تشير إلىٰ الرفعة والسمو وهكذا. وجاء القاموس اللغوي للشاعر فيه جدة وحداثة، فلم يغرق في المعاني القديمة ومفرداتها التي تمثل حمولاً لغوية لمعان بسيطة ذات بعد دلالي واحد، إنما جاسم الصحيح أجاد تعميق القاموس اللغوي وتنوعه وحدثته.

الوطن مثل عش بحجم الحب، وطبيعي أن يستدعي العش مفردات مثل الطيور والأطيار، وحتىٰ الغربان، لكن الغربان هنا لها دلالات أعمق، فهي تشير حتماً إلىٰ أعداء الوطن الذين يصبون الحقد علىٰ العش، فيصير حقدهم ناراً، فيفيق الناس في هذا الوطن علىٰ نعيق البوم، أو نعيق البنادق وما للنعيق من دلالة علىٰ الشؤوم والشر المستطير:

عُشٌّ بحجم الحب فيه تحالفت ... زمر الطيور عقيدة وشعارا
أبداً يفيق علىٰ حفيف سنابل ... ترشو الصبا فيطلق الأطيارا
حتىٰ إذا الغربان فيه تمردت ... حقداً يصب علىٰ الحفيف النارا
أضحىٰ يفيق علىٰ نعيق بنادق ... عبثاً توزع بيننا الأخطارا[١]

(١) جاسم الصحيِّح، ما وراء حنجرة المغنِّي، الدار الوطنية الجديدة، الخبر، ٢٠١٠م، ص٢٢.

يشير الشاعر إلىٰ فكرة المقاومة بالفن، أو بالشعر، فقصيدته هي مقاومة لهذه الأخطار التي تحيق بالوطن، وقصيدته إنما كتبت لتفضح هؤلاء الذين يتسترون وراء اللحىٰ بما لها من رمزية للتستر بستائر الدين، وارتكاب أبشع الجرائم، لذا وضع الشاعر عبر علامات الترقيم دهشة وتعجبا، واشتغال الشاعر علىٰ لغته جعله يأتي بمفردات تبدو غامضة علىٰ القارئ في سياقها، لكن لتأملها قليلاً ربما يتكشف لنا دلالات أعمق لم نعيها في التلقي الأولي، فكلمة أحبار في النص ربما تشير إلىٰ فكرة التدوين، فلم يقرأ من قبل أن الجريمة لها لحية، وربما تشير إلىٰ بعد آخر من المعنىٰ، فقد يكون الشاعر قد قصد أن من وراء هذا الإرهاب الذي طال المملكة العربية السعودية، قد يكون وراءه أحبار بني صهيون الذين يشعلون الحرائق في البلدان العربية حتىٰ يمزقونها:

وطني وما انتفضت عروق قصيدتي ... إلا بآهات عليك غيارىٰ
ما بال أقوام إذا صافحتهم ... شهروا عليك أكفهم منشارا!
ما كنت أعهد للجريمة (لحية) ... من قبل لم أعهد لها (أحبارا) (٢)

ربما الجزء التالي من القصيدة يرشح المعنىٰ الذي أوردناه، فهؤلاء الأحبار صنعوا التمائم التي تجر علىٰ وطن الشاعر الدمار والخراب، والشاعر سيقم بفض هذه التمائم، وكشف أسرار هذه المؤامرات علىٰ الوطن:

سأفض عن هذي التمائم ختمها ... -ملء العيون، وأفضح الأسرارا
سرنا معًا والفلك فلك واحد ... كل لوح سمَّر الأعمارا
والحب أول مخلص ما بيننا ... وفّىٰ وثبّت عمره مسمارا

(١) جاسم الصحيِّح، ما وراء حنجرة المغنِّي، الدار الوطنية الجديدة، الخبر، ٢٠١٠م، ص٣٢.
(٢) المرجع نفسه.

مـــا بـــال أقـــوام غـــداة ريـــاحهم هاجـت أهاجـت ضـدَّنا إعصـارا! (١)

التشكيل اللغوي ورسم اللوحات البصرية يساعد الشاعر علىٰ أن يوصل المعنىٰ بطرق أكثر فنية من استخدام اللغة ذات البعد القرائي الواحد، فالشاعر قلبه عامل في حقل حب الوطن، والقلب العامل يحفر الآبار، والآبار تخرج لنا القمح بسنابله التي ترن كأجراس، ويقطفها القلب العامل ليشبع بنو الوطن:

وطنـي.. ومـا ينفـك قلبـي عـاملاً في حقـــل حبـــك يحفـــر الآبـــارا
لتـــرن أجـــراس الســـنابل مـــرة أخـــرىٰ فـــأقطف لحنهـــا أشـــعارا(٢)

إنه يمثل كل أبناء الوطن الذين يدركون قيمة العمل علىٰ رفع شأن هذا الوطن، إنهم يعملون من أجل التنمية، ويكدون من أجل بناء الوطن، والعدو يتربص بهم، يجهز الأظفار التي تتهيأ لنبش قلب الوطن، ولا مقاومة إلا بالعمل الجاد وبناء الإنسان، وهنا يرسم الشاعر لوحة لثنائية الخير والشر، ويراهن علىٰ انتصار الخير في الوطن، فأبناؤه صقور جارحة لكنها لا تحمل إلا الخير للوطن:

لـــن يســـتطيب الصـــقر لقمـــة عيشـــه حتـــىٰ يكـــد الـــريش والمنقـــارا!
دعنـــي علـــىٰ ثقـــة أهنـــدس نغمتـــي ودع العـــــدو يهنـــــدس الأظفـــــارا
ســـترىٰ إذا اصـــطدم الجمـــال بضـــده ذا يكـــــون الفـــــارس المغـــــوارا! (٣)

إنه يذود عن الوطن ويحميه بالجمال والعمل، يتسلح بالسلام (الحمامة) التي تزيل بهديلها الخيِّر والمسالم نعيق الشر والبنادق. إن قصيدته رصاصة، لكنها

(١) المرجع نفسه.
(٢) جاسم الصحيِّح، ما وراء حنجرة المغنِّي، الدار الوطنية الجديدة، الخبر، ٢٠١٠م. ص٥٤.
(٣) المرجع نفسه.

رصاصة للحب، يطلقها كي تنشر العبير في أرجاء الوطن، اللغة كما نرىٰ في القصيدة هي لغة التشكيل ورسم لوحات فنية بالكلمات:

لـــك أن أهدهـــد بالأغـــاني نخلـــة ... هجمـت عليهـا العاصـفات سـكارىٰ!
وأذود عنـــك مســـلحًا بحمامـــة ... تجلـــو الهـــديل إذا النعيـــق أغـــارا
فقصـــيدتي ليســـت ســـوىٰ بـــارودة ... للحـــب تطلـــق باســـمك الأزهـــارا! (١)

يمارس الشاعر في الجزء التالي من القصيدة ألعابا لغوية، ويوظف مصطلحات العلوم والمعارف، ليعلن حبه للوطن، فهو يرجع عبر الذاكرة للوراء، ليتذكر أيام الطفولة، لكن اللغة هنا فيها تزيد، ومعادلة ذهنية، جنحت كثيرا بالقصيدة التي اشتغلت فنيًّا علىٰ اللغة لتحولها لألعاب لغوية تخلو من الإحساس، هي "لعبة ذهنية:

وطنـــي.. وذاكـــرة الطفولـــة لـــم تـــزل ... في حيـــــرة تســـــتجوب الفخـــــارا
مـــن أنـــت؟ وانتصـــب الســـؤال ســـفينة ... مـــن أنـــت؟ وارتفـــع الشـــراع حـــوارا
وطنـــي.. أفـــتش في فصـــول دراســـتي ... فـــأراك أضـــيق مـــا تكـــون مـــدارا
مـــا لـــم يقلـــه (النحـــو) أنـــك فاعـــل ... (رفعتـــه) أذرعـــة الرجـــال منـــارا
ولعـــل أســـتاذ الخـــرائط حينمـــا ... رســـم الخطـــوط وحـــدد الأمصـــارا
لـــم يـــدر أنـــك لا تحـــد برســـمة ... كالشـــمس حـــين تـــوزع الأنـــوارا
مـــا أنـــت يـــا وطنـــي مجـــرد طينـــة ... فأصـــــوغها لطفـــــولتي تـــــذكارا
حاشـــا.. ولســـت ببقعـــة مربوطـــة ... قيـــد المكـــان أقيســـها أمتـــارا
بـــل أنـــت يـــا وطنـــي مـــدىٰ حريتـــي ... في الأرض حـــين أعيشـــها أفكـــارا (٢)

(١) المرجع نفسه.

(٢) جاسم الصحيِّح، ما وراء حنجرة المغنِّي، الدار الوطنية الجديدة، الخبر، ٢٠١٠م. ص٦

اللغة الشعرية في حكاية ملهم:

أما في قصيدة "حكاية ملهم" لجاسم الصحيح أيضًا، فالشاعر يتعاطىٰ مع معنىٰ حب الوطن من منظور يجمع بين الحماسة والفخار والتغزل في هذا الوطن، ويبدأ قصيدته بذلك النداء الذي يخاطب به نجد، ومنذ البدء يتفاخر بعودة السمار إليها، بل يطالبها أن تدار الرؤوس علىٰ هواها ورغبتها، فهي من صارت ملتقاهم وقبلتهم، فهذه القصيدة أُلقيت في محفلٍ مهم تحتضنه الرياض، ويحتفي به الوطن كلّه، في كل عام، وهو (الجنادرية)، فلا عجب إن غدتْ نجد هي الوطن أجمعه، وخاطب الوطن بها، ورآه من عينيها: (١)

يـا (نجـد)... عـاد لليلـك السـمار فـدعي الـرؤوس علـىٰ هـواك تـدارُ!

نلحظ أن الشاعر في لغته الشعرية أيضًا متأثرٌ بالقاموس الشعري التقليدي الذي ارتبط بشعر الفخر والحماسة والنسيب القديم الذي جعل من الأرض/ الوطن امرأة يهواها السمار، ويتعشقون أرضها، نجد كلمات لها ذات الدلالات القديمة حيث يقول:

قـومي نـدون سـيرة السـيف الـذي صـلىٰ علـىٰ شـفراته الأحـرارُ
ونخـط تـاريخ الحصـان مزمجـراً يهتـز مـن وثباتـه المضـمارُ
وتبرجـت فيـك البـروج ولـم يـزل لخيمـك الأولـىٰ مـدىٰ ونهـارُ
وتوهجـت نـار الحديـد وللغضـا في كـل تـل مـن تلالـك نـارُ
لا تتركـي بـاب القبيلـة موصـداً طبـع الشـحيح، فإننـا خطـارُ(٢)

(١) جاسم الصحيِّح، قصيدة (حكاية ملهم)، صحيفة عكاظ، الجمعة ١٩ مارس ٢٠١٠م، العدد ٣١٩٧.

(٢) المرجع نفسه.

إنها ذات اللغة وذات المعجم المرتبط منذ عمرو بن كلثوم وحماسته، فيعبر الشاعر الحديث عن الشجاعة والقوة والصلابة بالسيف والحصان، والخيمة، ووهج النار.

ولا يكتفي الشاعر بهذا القاموس المقترن بالبيئة الصحراوية بكل مفرداتها، بل يخرج عن ذلك القاموس قليلا في تغزله في الوطن، بنجده المحبوبة، فنجده يذكر مفردات أكثر حداثة في معجمها، فنجد المزمار والقيثار:

هـا أنـت بـين غـد وأمـس ربابـة ... مـا زال يخطـب ودهـا القيثـارُ
مشـت الحضـارة في ربـاك يزينهـا ... زيـن النسـاء عبـاءة وخمـارُ[1]

يواصل التغزل بنجد/ الوطن ويجعلها امرأة يقصدها الخطار، امرأة جميلة يبتهل في عشقها العشاق، فألف قيس عاشق يأتيها، وبالضرورة هي ليلىٰ التي يهواها العاشقون:

ودعـي (الصـبا) تسـري عليـك (عشـية) ... ويفـوح عـن أزكـىٰ الشـميم (عـرارُ)
هـا قـد تسـمر ألـف (قـيس) هـا هنـا ... حيـث اسـتناروا بـالهوىٰ وأنـاروا
لـم يعرفـوا (ليلـىٰ) سـواك كأنمـا ... هـي أنـت مـن جـاءت بهـا (الأسـفارُ) [2]

ثم ينتقل من التغزل في الوطن إلىٰ التشوق إلىٰ الملك الذي هو رمز لهذا الوطن، فله القلوب تهفو، إنه أبو متعب رحمه الله الذي ملك علىٰ الشاعر نفسه، ولكن الشاعر أيضا لا يفارق المعجم التقليدي في المديح والوصف، إنه حين يعبر عن شجاعة الملك رأس البلاد ورمزها، وابنه متعب ينسب إليه ذات الصفات التي

(١) جاسم الصحيِّح، قصيدة (حكاية ملهم)، صحيفة عكاظ، الجمعة ١٩ مارس ٢٠١٠م، العدد ٣١٩٧.

(٢) المرجع نفسه.

جاءت في معجم شعري يشبه السابقين إلا قليلا، فهو العادل في شعبه، المطعم فقيرهم ، الحامي حماهم:

لـم تـؤت رزقـًا مثـل عـدلك بينمـا ... مـــذ قســـمت أرزاقنـــا الأقـــدارُ
هـــا نحـــن أقفلنـــا عليـــك ضـــلوعنا ... بالحـــب حتـــىٰ مـــا هنـــاك فـــرارُ
حـــب تناســـل نخلـــة عـــن نخلـــة ... فكأنمـــا هـــو تمرهـــا المـــدرارُ
أمطعمـــا بفـــم المحبـــة شـــعبه ... قـــبلا تطبـــب مـــن بـــه أكـــدارُ[1]

إنه يمدح الملك، ناسبًا إليه صفات الشجاعة والفروسية، وليس العدل والكرم فقط، مشيرا إلىٰ طابع الفارس فيه، فهو الصقر، تضيق بحبسه الأزرار، وهو الذي رباه فوق يمينه الصقار، بما في هذا الوصف من إشارة للشجاعة، فالصقر الشجاع حتما رباه لنا صقار متمرس يعرف كيف يعد صقوره الجارحة للخفقان، فالمليك الذي ملك حب شعبه يتمتع بروح البداوة، والبداوة هنا صفة ممدوحة تشير إلىٰ الأصالة والعراقة التي يتقصدها الشاعر:

مـــا غازلتنـــا منـــك صـــورة حـــاكم ... في الأرض.. إن الحـــــاكمين كثـــــار
بـــل غازلتنـــا صـــورة الشـــيم التـــي ... هـــي حـــول كعبـــة روحـــك الأســـتار
وجهـــادك الينبـــوع ينضـــح ســـاهراً ... لتنـــام فـــوق ضـــفافه الأثمـــار
وحليبـــك البـــدوي حـــين تهـــزه ... روح الإبـــاء فينتخـــي ويثـــار
يـــا حـــاملاً بـــالعز مـــلء ثيابـــه ... صـــقراً تضـــيق بحبســـه الأزرار
مـــا خنـــت صـــقار (الجزيـــرة) حينمـــا ... ربـــاك فـــوق يمينـــه، الصـــقار[2]

(١) جاسم الصحيِّح، قصيدة (حكاية ملهم)، صحيفة عكاظ، الجمعة ١٩ مارس ٢٠١٠م، العدد ٣١٩٧.

(٢) المرجع نفسه.

ولا يكتفي بمديح الملك، بل يواصل مديح أبنائه، ذاكرهم بالاسم واللقب والكنية، ناسبًا إليهم صفات العلم والكرم والأصالة والعراقة، فهم من بيت عز ضم البلد في عقد لؤلؤ من الشمال للجنوب دون أن يفرط هذا العقد أمام أحداث الأزمان:

(عبد العزيز).. موحد الفخر الذي ... كانت به تتخاصم الأنوارُ
لولا (أبوك) لقلت قوله واثق ... هيهات يسخ مثلك التكرارُ!
فتحت خزائنها الحضارة دونه ... ودعته أي كنوزها يختارُ
فاختار شرع الله كنزاً خالداً ... حفظته بين ضلوعها الأقدارُ[1]

هنا ينسب إليه أنه حفيظ للشرع، مانح للأجداد برق اليقين، فتحت له الحضارة أبواب كنوزها كلها، فاختار أجمل كنوز الحضارة الإنسانية، اختار أن يحقق شرع الله، وتطول القصيدة مادحا فيها الشاعر مليكه وأمراءه. لكنه يلزم ذات اللغة الشعرية ذات المستوىٰ الوحيد من التلقي التي تمنح ذاتها منذ القراءة الأولىٰ دون جهد جهيد في استنباط المعنىٰ.

التشكيل باللغة في قصيدة إمام العاشقين:

قصيدة إمام العاشقين لعيسىٰ جرابا التي كتبها حبًا وتغزلاً وتشوقًا للوطن، وطنِ الحقِّ والحبِّ والجمالِ في يومِهِ المجيدِ الثالث بعد الثمانين تحية إجلالٍ وإكبار، هذا هو الإهداء الذي صدر به القصيدة، ورغم أن القصيدة التزمت بعمود الشعر العربي الكلاسيكي التقليدي، وكانت تقليدية البناء، إلا أن الشاعر أجاد تشكيل لغته الفنية، التي حاولت عبر التشكيل الفني أن تقدم للقارئ تصوراً ذهنيًا عن هذا الوطن

(١) جاسم الصحيِّح، قصيدة (حكاية ملهم)، صحيفة عكاظ، الجمعة ١٩ مارس ٢٠١٠م، العدد ٣١٩٧..

الذي يهديه الشاعر قصيدته، إنه يتحدث بلسان العاشقين، الذين يطوفون فضاء الوطن مثل أسراب الحمام، وما للحمام من رمزية للمحبة والسلام، فقد استخدم الشاعر لغة فنية عالية ، تقرب المعنىٰ الشعري:

العاشقون كأسراب الحمام علىٰ ... جفنيكَ حيث لبوحِ القلبِ ميعادُ
يُقبِّلونَ جبينًا شعَّ فانسكبتْ ... أنواره فانجلت للطين آمادُ
بين الجوانحِ نبضٌ يستهلُّ جوىٰ ... وَفِي الشِّفَاهِ تَرَاتِيْلٌ وَأَوْرَادُ"(١)

نرىٰ أن اللغة دالة وعميقة علىٰ هذا العشق، اللغة المشهدية كانت قادرة تماما علىٰ التعبير عن هذا العشق، فاستخدم تركيبات لغوية مثل بوح القلب وجبينا يشع وانسكبت أنواره، الجوانح تنبض. المشهد البصري (العاشقون كأسراب الحمام علىٰ جفنيك حيث لبوح القلب ميعاد)، تعبر عن قدرة الشاعر علىٰ التشكيل الجمالي. ثم يعبر عن عراقة هذا الوطن مستخدما مفردات من البيئة تعبر عن هذه المعاني، فموطنه هو "نَخِيْلَ العِزِّ فَوْقَ ثَرَىً مِنَ الشُّمُوْخِ لَهُ فِي الكَوْنِ أَبْعَادُ"، كذلك استخدم الشاعر بعض المفردات التي أراد من خلالها أن يضفي قدسية وتبريكا علىٰ هذا الوطن، فهو موضع زمزم الطهر، وأنه ربيع أمان فتحت أزهاره، وأنه ورود تفوح البهجة من أكمامها:

يا زمزمَ الطُّهرِ ما لاحت يداك ندىً ... إلاَّ وكان لمن يهواكَ إيرادُ
ويا ربيع أمانٍ فتَّحت وزهتْ ... أكمامهُ بهجةً والغصنُ ميَّادُ
منائرُ الحقِّ صاغت صرح مملكةٍ ... يَحْمِيْهِ مِنْ صَوْلَةِ الإِرْهَابِ آسَادُ(٢)

(١) عيسىٰ جرابا، قصيدة إمام العاشقين، http://twitmail.com، ١٤٣٤هـ.
(٢) المرجع نفسه.

لكنه لا يفارق أحيانا المعجم التقليدي الدلالة حين يصف تراب الوطن بالتبر، فهذه جملة شعرية وردت في كثير من القصائد السابقة، كذلك الحديث عن تقديس الله لهذا الوطن، ومباركته، لم يفارق الشاعر فيه ما ورد في قصائد الشعراء السابقين:

أغلىٰ من التِّبرِ ما يحوي تُرابُك يا ... سِفراً تُسبِّحُ في أوراقِهِ الضَّادُ
اللهُ خصَّكَ بالفتحِ العظيمِ رِضَا ... يحدو قوافله البيضاء عُبَّادُ
هُنا تدفَّقَ نورُ الوحي حين سرتْ ... اقرأ لها في ضمير الغارِ يرددُ
اقرأ ففاضَ صداها أنهراً نهلتْ ... مِنْ دَفْقِهَا العَذْبِ أَرْوَاحٌ وَأَجْسَادُ[1]

كذلك يكشف الشاعر في قصيدته عن سبب اختياره لعنوان هذه القصيدة، فهو إمام العاشقين، الذين يعشقون هذا الوطن، والذين يذوبون في عشقه، وقلوب هؤلاء العاشقين تذوب أكبادهم من شدة العشق، هذه معانٍ مطروقة لم يفارق فيها قاموس الشعراء، فذوب الأكباد من العشق ليس بالمعنىٰ الجديد. لكن يلاحظ أن الشاعر لم يستبدل الوطن بالمحبوبة مثل الشعراء القدامىٰ، ولم يتحدث إلا عن الوطن، فلم يتحدث مثلاً عن رموزه:

يَا مَوْطِنِي وَإِمَامُ العَاشِقِيْنَ أَنَا ... جِئْنَا تَذُوْبُ مِنَ الأَشْوَاقِ أَكْبَادُ
فِيْنَا تَجَلَّتْ مِنَ الأَعْلامِ خُضْرَتُهَا ... وَمِنْ سَنَا مِشْعَلَيْكَ العَزْمُ وَقَّادُ
جِئْنَاكَ لا شَيْءَ غَيْرُ العِشْقِ يَحْمِلُنَا ... إِلَىٰ عِنَاقِكَ مَنْ جَاؤُوْكَ مَا حَادُوا! [2]

لكن الشاعر يستدرك جدة اللغة التي حاول أن يصوغ فيها معانيه، فيتحدث عن الوطن الذي سكن فيهم، وسكنوا فيه، لكن المفرقة أن هذه السكنىٰ صورها الشاعر كأنها أصفاد، فالحب لا يوصف بأنه أصفاد، وكأنه مدح فيما يشبه الذم:

(١) عيسىٰ جرابا، قصيدة إمام العاشقين، http://twitmail.com، ١٤٣٤هـ.
(٢) المرجع نفسه.

هَـاهُمْ أَمَـامِي وَمِـنْ خَلْفِي بِهِـمْ سَـمَقَتْ صْـفَادُ حُبِّـكَ بَعْـضُ الحُـبِّ أَصْـفَادُ!
أَسَـكَنْتَ فِيْنَـا وَلَـمْ نَسْـكُنْ سِـوَاكَ أَيَـا طَـوْداً لَـهُ تَنْحَنِـي تَهْتَـزُّ أَطْـوَادُ[1]

اللغة الشعرية في أغنية للوطن:

ويأتي الشاعر علي محمد صيقل في قصيدته أغنية الوطن، التي منحت الديوان اسمه ليعزف علىٰ لحن الوتر، وتر حب الوطن والانتماء إليه والتفاخر بالانتساب إلىٰ هذا الوطن وتسويغ هذه المفاخر. جاءت اللغة سهلة التداول وبسيطة، وتشتغل علىٰ المستوىٰ الأول للتلقي، فلا تذهب إلىٰ الغموض أو التورية أو اللغة التأملية الاستبطانية، فكعادة هذه الموضوعات، موضوعات الحديث عن الأوطان أو مدح الزعماء تتوجه إلىٰ المتلقي العام، ويفترض الشاعر ساعتها أن هذا المتلقي العام يريد لغة سهل التوصيل. إن الشاعر يرسم الوطن وشما علىٰ ساعده وعلىٰ بدنه، بل وفي القلب والعينين، إن الشاعر يخاطب الوطن، ويخبر عن مدىٰ حبه وارتباطه به، فهو شمس، وهو دفء للروح. القاموس اللغوي للشاعر يدور في المطروق من اللغة الشعرية السلسلة والواضحة. كما اعتمد الشاعر علىٰ التقديم والتأخير في جملته الشعرية، فالمنادي (الوطن) في البيت الأول يتم تأخير الإخبار عنه حتىٰ آخر الروي/ القافية، وكذلك في البيت الثاني حيث يقدم الحال علىٰ الجملة الفعلية (شمسًا حملتك)، وفي البيت الثالث يقدم شبه الجملة (فيك) علىٰ المفعول به (الثري) للفت الانتباه، وفي التقديم والتأخير تأثير شعري بلاغي حيث يلفت انتباه المتلقي ويجعله أكثر تركيزا في ترتيب معنىٰ الجملة وأجزائها، يقول الشاعر:

وشـم علـىٰ سـاعدي نقـش علـىٰ بـدني وفي الفـؤاد وفي العينـين يـا وطنـي
شمسًا حملتك فوق الرأس فانسكبت مسـاحة ثـرة الأضـواء تغمـرني

(١) عيسىٰ جرابا، قصيدة إمام العاشقين، http://twitmail.com، ١٤٣٤هـ.

قبلت فيك الثرىٰ حبًا وفوق فمي ... من اسمرار الثرىٰ دفء تملكني
وانداح في خافقي سحراً وترنمة ... وذكريات وآمالاً تضمدني[١]

في الجزء الثاني من القصيدة يتحدث عن الوطن بصفته قصيدته، وهنا حين يقرن الشاعر الوطن بالقصيدة، كأنه يريد أن يماهي بين الشعر الذي هو أغلىٰ ما يسعىٰ إلىٰ تحقيقه الشاعر، وبين الوطن، لإثبات الجمال والشعرية، فالوطن قصيدة ولحن، والوطن ترنيمة الأجداد وأغنية الأبناء، الشاعر يستمر في تلك البساطة اللغوية قاصد مخاطبة ذائقة متلق يفترض الشاعر أنه يبحث عن البساطة والسهولة:

قصيدتي أنت منذ البدء لّحنها ... أجدادي الشُّمُ فانثالت إلىٰ أذني
ترنيمة عذبة الألحان فامتزجت ... ألحانها في دمي بالدفء تفعمني[٢]

يعمد الشاعر إلىٰ الحديث عن تفاصيل الوطن، لكنه لم يتحدث عن الزعماء والمدن المترامية أو التاريخ أو البطولات إنما هو يتحدث عن التفاصيل الصغيرة لهذا الوطن، فقد وجه أغنيته، غنىٰ للرمال، التي تشير إلىٰ الصحاري وللصواري والأمواج التي تشير إلىٰ البيئة الساحلية، وللنخيل الذي تمايل والذي يمنح الوطن سمته ويميزه، غني لكل شيء في الوطن، واهتزت الأشياء طربًا.

غنيت ما للرمال السمر في شغف ... وللصواري وللأمواج والسفن
لنخلة حينما أسمعتها اندهشت ... تمايلت وانثنت نحوي توشوشني
ما أروع اللحن قالت هزني طربًا ... فغن لي غن إنّ اللحن أطربني
ضممتها إنها رمز العطاء وفي ... جذورها عروة وثقىٰ توصلني[٣]

(١) علي محمد صيقل، أغنية للوطن، نادي جازان الأدبي، ص٤٣.
(٢) المرجع نفسه.
(٣) المرجع نفسه.

في نهاية القصيدة يتوجه للوطن مرة أخرىٰ بالنداء، ولا غرو، فالوطن هو ما يسكن الشاعر، ويطربه حبا، فتبدأ القصيدة بنداء الوطن، وتنتهي بذات النداء، في نهاية القصيدة يعلن حبه للوطن، ويقسم بالله أنه لن ينساه. هذه اللغة اعتمدت علىٰ أساليب التوكيد والقسم والنداء في محاولة للتعبير عن حب الوطن:

يـــا مـــوطني أننـــي أهـــواك في ولـــه يـــا نكهـــة حلـــوة تنســـاب في بـــدني
أقســـمت بـــالله لـــن أنســـاك يـــا حلمـــي فـــإن ســـلوتك هيـــئ لـــي إذن كفنـــي"(١)

اللغة الشعرية في حبيبتي هذه الأرض:

يتمثل الشاعر إبراهيم عمر الصعابي معاني حب الوطن والانتماء إليه عبر قصيدته حبيبتي هذه الأرض، التي وردت في ديوان "وطن في الأوردة"، فقصيدته تتحدث عن وطن نسب إليه كل معاني التميز والخصوصية، فقد "اختارها الله دون الأرض قاطبة" وحين ينسب الشاعر لله الاختيار، هو يعي تماما أنه بهذا يضفي صفات القدسية والتبجيل علىٰ هذه الأرض.

يلتزم الكاتب القاموس اللغوي التقليدي، ولا يخرج عن الصورة الذهنية التي ساوىٰ فيها الشعراء بين الوطن والمحبوبة المرأة ، منذ عنوان القصيدة "حبيبتي هذه الأرض" لا يخرج عن القاموس الدلالي للشعراء السابقين، فالأرض هي الحبيبة، بل إنه يقدم مفردة "حبيبتي" الخبر، علىٰ المبتدأ هذه والمضاف إليه الأرض ليؤكد لنا عبر تقديم الأهم أنه يريد أن يصدر للقارئ أن علاقته بالوطن هي الحب، بل يضيف المحبوبة إلىٰ ياء المتكلم، لتصير "حبيبتي" ودلالة ياء المتكلم في اللغة هي الملكية والارتباط. إذن منذ العتبة الأولىٰ لقراءة المعجم الشعري للقصيدة، وأقصد عتبة العنوان، يتضح أن الشاعر يؤكد علىٰ معاني الحب والانتماء للوطن. ويحشد

(١) علي محمد صيقل، أغنية للوطن، نادي جازان الأدبي، ص٢٢.

الشاعر في قصيدته كل ما يرشح هذا المعنىٰ، أن يصير الوطن، وتصير أرض الوطن معشوقة ومحبوبة، ينثال المعجم الشعري للشاعر ولا يختلف كثيراً عن القاموس الشعري الكلاسيكي إلىٰ رأىٰ به القدماء الوطن، فاشتغل الشاعر علىٰ مفردات مثل "حبيبتي، فاتنة، أنت الوجد، لهيب الشوق يشتعل، عطرها من ربا جازان، صبا نجد".

يميل الشاعر كذلك في لغة القصيدة إلىٰ تقديس هذه الأرض، فيحشد لها كل ما يشير للتقديس والتبجيل من مفردات، فالنهار يبتهل في حبها والصبح يتنفس في أحداقها، فهي تحمل ما جاء به الرسل:

تـــنفسَ الصـــبحُ في أحـــداقِ ملهمتـــي ... للعـــالمينَ بمـــا جـــاءت بـــه الرســـلُ
فاختارهـــــا اللهُ دونَ الأرضِ قاطبـــــةً ... في الخـــــافقينِ لأمـــــرِ اللهِ تمتثـــــلُ[1]

(١) إبراهيم عمر صعابي، وطن في الأوردة، إدارة الثقافة والمكتبات، جدة، ١٤٢١هـ.

المبحث الثاني: الصورة والمخيال الشعري:

وسوف تستقصي الدراسة الصور الفنية والشعرية في القصائد الخمس علىٰ الترتيب، وتلاحظ الدراسة أن الشعراء الذين انحازوا للحداثة والتجديد رسموا صوراً كلية تضافر فيها اللون والحركة والصوت أما الشعراء الذين انحازوا للقديم اشتغلوا علىٰ الصور الجزئية ما بين الاستعارة والتشبيه والمجاز المرسل والكناية.

الصور الفنية في قصيدة الوطن بأبجدية ثانية:

يرسم الشاعر صورة كلية للوطن، تتألف من اللون والصوت والحركة، فقد أقام من الوطن مزارا، والإقامة حركة، وكذلك نصب حول الوطن أضلعه، والتنصيب حركة أيضا، يتلو مذياع الشذىٰ أخبارا، والتلاوة صوت، تحالفت زمر الطيور، للطيور ألوان مختلفة، يفيق علىٰ حفيف سنابل، وللحفيف صوت وللسنابل لون ذهبي، الصباح يطلق الأطيارا، الإطلاق حركة، والأطيار ألوان مختلفة، حتىٰ إذا الغربان تمردت، الغربان لها اللون الأسود ، وتمردت حركة، أضحىٰ يفيق علىٰ نعيق بنادق، للإفاقة حركة، للنعيق صوت. وهكذا تضافرت للصورة الكلية أجزاؤها من لون وحركة وصوت:

وطني أقمتك في حشاي مزارا	ونصبت حولك أضلعي أسوارا
ورفعت ذكرك قبة محروسة	بهواجس في جانحي سهارىٰ
في نشرة الريحان كل عشية	يتلوك مذياع الشذىٰ أخبارا
عش بحجم الحب فيه تحالفت	زمر الطيور عقيدة وشعارا
أبداً يفيق علىٰ حفيف سنابل	ترشو الصباح فيطلق الأطيارا
حتىٰ إذا الغربان فيه تمردت	حقداً يصب علىٰ الحفيف النارا

أضحىٰ يفيق علىٰ نعيق بنادق عبثًا توزع بيننا الأخطارا[١]

الصورة التالية أيضا صورة كلية بكل عناصرها من لون وحركة وصوت، حيث إنه ينادي الوطن، صوت النداء، ثم يخبر عن انتفاض عروق القصيدة، حركة، ثم يتحدث عن الآهات، صوت، ثم يتحدث عن مصافحة أقوام، لكنهم يشهرون في وجهه المنشار، والمصافحة حركة، والإشهار حركة، كذلك في حين يقرر أن يفض ختم التمائم، ويفضح الأسرار، هناك حركة للفض وصوت للفضح:

وطني.. وما انتفضت عروق قصيدتي إلا بآهات عليك غيارىٰ
ما بال أقوام إذا صافحتهم شهروا عليك أكفهم منشارا
سأفض عن هذي التمائم ختمها ملء العيون،وأفضح الأسرارا[٢]

الصورة الثالثة وجه فيها الكلام للوطن، وأيضا رسمها باللون والصوت والحركة، يتحدث عن حدود الوطن، ويعدد جهاته المختلفة، فنجد تهب (حركة)، وأبها تدق الطار والمزمار (صوت) والأحساء تحتضن طيبة، (حركة):

وهنا حدودك في المشاعر داخلي مقدار ما نحيا كعبًا أحرارا
مقدار ما نجد تعب لعرضة فتدق أبها الطار والمزمارا
مقدار ما الأحساء تحضن طيبة في نخلة حملت هواك ثمارا[٣]

الصورة الشعرية في قصيدة حكاية ملهم:

كذلك يفعل جاسم الصحيح في صوره وأخيلته، فهو يقع في فخ الصور الجزئية التي تتوزع بين الكناية والاستعارة والتشبيه والمجاز المرسل، ولا يرسم لنا صورة

(١) جاسم الصحيِّح، ما وراء حنجرة المغنِّي، الدار الوطنية الجديدة، الخبر، ٢٠١٠م.
(٢) المرجع نفسه.
(٣) المرجع نفسه.

كلية تجعل المتلقي يتوقف متأملا لبعض غموضها الذي يجب أن يثير الذهن ويدفع للتأمل وإنتاج معان مغايرة، وربما الوقوع في فخاخ الصور الجزئية سببه القاموس الشعري التقليدي، فهي منظومة تتشابك حلقاتها، وتواشج، فحين يتملكني وعي لا يفارق القدماء ووقوفهم علىٰ الأطلال ومناجاة الأحبة والديار والتغزل في الوطن بوصفه امرأة جميلة، وحين تتملكني لغة شعرية تقليدية حتما هذا سوف يستدعي صورا جزئية، لكن لو أن الشاعر أفلت من فخ التقليدية ووجد لنفسه مسارب فنية تجعله يبحث عن المعنىٰ العميق ومن ثم المفردة الأعمق، لاستطاع أن يشتغل علىٰ صوره، ويرسم منها لوحة فنية متكاملة الأركان. لكن ربما هذا ما يسببه طبيعة المدح والتفاخر وهما غرضان شعريان تقليديان. يأتي التشبيه، وخاصة التشبيه البليغ ليمثل الرهان الأساسي لصور الشاعر الجزئية، ثم التشبيه التام أو المفصل، من قبيل: "سيرة السيف، تاريخ الحصان، الأشواق حمل أباعر، ها أنت بين غد وأمس ربابة، توهجت نار الحديد، يا طائر الأمل، أمطعم بفم المحبة شعبه، جهادك الينبوع ينضح ساهرا، كأن فيض السنين أنهار، فكأنما هو تمرها المدرار، وسقيتها ماء الحوار كأنه من (بئر زمزم) كوثر فوار!، فالسيف عنده له سيرة يحكيها، وكذلك للحصان تاريخ يدونه، والأشواق مثل الحمل لكثرتها، والمليك مثل الربابة التي تعزف لنا ألحانا عذبة، والحديد له نيران تتوهج وتصب غضبها علىٰ أعداء الوطن، والمليك هو طائر الأمل الذي يناديه الشاعر، والمليك أيضا يطعم شعبه بفم المحبة، وكأن المحبة فم، وجهاده مثل الينبوع الفياض، والسنين التي استغرقها هذا الجهاد وهذا النضال من أجل الوطن مثل فيض الأنهار، والمليك المفدىٰ مثل التمر الكثير لهذا الشعب، ولا غرو أن يستخدم التمر هنا في وصف هبات المليك وعطاياه، فالصحراوي يمثل التمر له عمود الحياة، ثم يسقي المليك شعبه ماء الحوار، وكأن

الحوار لأهميته بالنسبة للشعب مثل الماء الذي يفيض من بئر زمزم لما لها من قيمة معنوية مقدسة في حياة هذا الشعب، بل كل الشعوب المسلمة، فماء زمزم يصير مثل الكوثر أحد أنهار الجنة. ثم يتحدث عن شجاعة الملك الذي اشتهر بالشجاعة والفروسية حتىٰ إن لسيفه سير البطولة يحكيها لنا.

ثم يأتي الخيال الاستعاري ليمثل الاشتغال الثاني لصور وأخيلة الشاعر في هذه القصيدة، فنجده يشخص (نجد) وينياديها، بل يشاركها الفعل، فعل التدوين، تدوين سيرة هذا الوطن، فيقول:" يا نجد، قومي ندون"، ثم لجمال نجد يخطب القيثار ودها وفي هذا تشخيص أيضا، فنجد عروسًا جميلة والقيثار إنسان شغوف بها وخطب ودها، والحضارة إنسان يمشي ويسعىٰ إليها ويزين رباها حتىٰ أن البروج تصير فتيات حسناوات تتبرج وتبالغ في الزينة:

مشت الحضارة في رباك يزينها ... زين النساء: عباءة وخمارُ
وتبرجت فيك البروج ولم يزل ... لخيامك الأولىٰ مدىٰ ونهارُ
ها أنت بين غد وأمس ربابة ... ما زال يخطب ودها القيثارُ[1]

ثم يخاطب الملك عبد العزيز رحمه الله، وأنه موحد الفجر، وأن الأنوار كانت تتخاصم به، نرىٰ هنا تشخيص الأنوار الاستعاري، بأنها تتخاصم من أجل أن تحيط بالملك وتضيئ له، كما أنه يشخص الحضارة التي تمنح كنوزها وتعطي كما الإنسان:

(عبدالعزيز) موحد الفجر الذي ... كانت به تتخاصم الأنوارُ
لولا (أبوك) لقلت قولة واثق: ... هيهات ينسخ مثلك التكرارُ!

(١) جاسم الصحيِّح، قصيدة (حكاية ملهم)، صحيفة عكاظ، الجمعة ١٩ مارس، ٢٠١٠م، العدد ٣١٩٧.

هـــو مـــانح الأجـــداد بـــرق يقينـــه بـــــالله فـــــالتفوا عليـــــه وســـــاروا
فتحـــت خزائنهـــا الحضـــارة دونـــه ودعتـــــه أي كنوزهـــــا يختـــــارُ[١]

كما أفاد الشاعر أيضا من الكناية كأحد تجليات الصور الجزئية، وميزة الكناية أنها عبر علاقة الصفة والموصوف وغيرها من العلاقات الكنائية تأتي بالمعنىٰ مصحوبا بالدليل، فحين يقول الشاعر مخاطبا نجد "دعي الرؤوس علىٰ هواك تدار!

يهتز من وثباته، المضمار" هنا يتحدث عن تأثير نجد الأبية علىٰ العروبة وأن محبيها يقعون صبابة في عشقها. كما أنه حين خاطب الملك قائلا جئناك والأشواق حمل أباعر أولا يعبر عن شدة الشوق وعظمه، كما أنها صورة منتزعة من البيئة التي ترىٰ أنه من باب التعبير عن الكثرة أن تقول حمل أباعر: "جئناك والأشواق حمل (أباعر)". كذلك يعبر الشاعر ويكني عن شهامة الملك عبدالله رحمه الله، فهو يد الشهامة وسيفها البتار، كما أنه يدها الحنون، فاليد الحنون كناية عن العطاء والعطف، والسيف البتار كناية عن القوة والشجاعة، بل يرىٰ أن مبايعة الشعب له مثل نهر ، فكل نهر بيعة كناية عن المباركة لهذه البيعة واستخدام النهر الذي يرمز إلىٰ العذوبة والخصب والمباركة يكني عن هذا الولاء من الشعب للملك:

(أبـــو متعـــب) وكفـــىٰ الشـــهامة أنـــه يـــــدها الحنـــــون وســـــيفها البتـــــارُ
فأمـــــدد يـــــديك فكـــــل نهـــــر بيعـــــة لـــــك بـــــالولاء يمـــــدها التيـــــارُ[٢]

(١) جاسم الصحيِّح، قصيدة (حكاية ملهم)، صحيفة عكاظ، الجمعة ١٩ مارس، ٢٠١٠م، العدد ٣١٩٧.

(٢) المرجع نفسه.

ثم يعبر عن طريق التعبير الكنائي عن مدىٰ حبه لوطنه، فهو وطن بحجم مساحة الحب، ويستخدم تعبير "أقفلنا عليك ضلوعنا" كناية عن شدة الحب والارتباط بهذا الوطن:

وطني بحجم مساحة الحب الذي ... لك في النفوس معتق معطارُ
ها نحن أقفلنا عليك ضلوعنا ... بالحب حتىٰ ما هناك فرارُ[1]

كما يعبر عن مدىٰ حب الشعب للملك، ومدىٰ الارتباط به بالتعبير الكنائي أيضًا، فجملة "يا من يسوس قلوبنا وعقولنا" كناية عن موصوف وهو الملك، كذلك جملة" فتحبه النبضات والأفكار" كناية عن صفة وهي صفة الحب لهذا الملك. وكذلك الكنايات في الأبيات الآتية كناية عن موصوف أيضا وهو الملك الذي هو صورة هذا الوطن:

يا حاملا بالعز ملء ثيابه ... صقراً، تضيق بحبسه الأزرارُ
فاختار شرع الله كنزاً خالداً ... حفظته بين ضلوعها الأقدارُ
وسريت مسراه الحكيم كأنما ... قدماك من خطواته آثارُ[2]

الصور الشعرية في قصيدة إمام العاشقين:

يختلف وعي الشاعر عيسىٰ جرابا في هذه القصيدة عن سابقية من حيث الوعي باستخدام الصورة الكلية التي تتضافر فيها الحركة واللون والصوت، فلم يقع في فخ الصور الجزئية، وساعده علىٰ ذلك اعتماده للغة البصرية المشهدية التي ساعدته علىٰ التشكيل البصري بالصور الفنية. فصورة المفتتح التي افتتح بها القصيدة تتوفر

(١) جاسم الصحيِّح، قصيدة (حكاية ملهم)، صحيفة عكاظ، الجمعة ١٩ مارس، ٢٠١٠م، العدد ٣١٩٧.

(٢) المرجع نفسه.

لها كل عناصر الصورة الكلية، فالعاشقون يتحركون مثل أسراب الحمام، كما أنهم يبوحون وما للبوح من صوت ولو مكتوم، والحمام لونه أبيض، كذلك انسكاب النور، وما للانسكاب من صوت، وما للنور من بياض، وكذلك نبض الجوانح، وما للنبض من حركة في الصدر، ثم صوت التراتيل والأوراد.

العَاشِقُوْنَ كَأَسْرَابِ الحَمَامِ عَلَىٰ ... جَفْنَيْكَ حَيْثُ لِبَوْحِ القَلْبِ مِيْعَادُ
يُقَبِّلُوْنَ جَبِيْنًا شَعَّ فَانْسَكَبَتْ ... أَنْوَارُهُ فَانْجَلَتْ لِلطِّيْنِ آمَادُ
بَيْنَ الجَوَانِحِ نَبْضٌ يَسْتَهِلُّ جَوَىٰ ... وَفِي الشِّفَاهِ تَرَاتِيْلٌ وَأَوْرَادُ(١)

كذلك في الصورة الكلية التالية تتضافر عناصر اللون والصوت والحركة، لتصنع مشهدا بصريا خلابا، فحين يقرأ، يفيض صداها أنهر، القراءة لها صوت والفيض حركة وماء النهر لونه أخضر، يأخذ لو الأعشاب والنباتات التي تنبت علىٰ جانبيه عكس ماء البحر الأزرق، وحين يقرأ تشرق شمس لما للشمس من لون ذهبي، فترسم الشمس وجه الصباح، فتنقاد الأرض إليه وما للانقياد من حركة:

اقْرَأْ فَفَاضَ صَدَاهَا أَنْهُراً نَهَلَتْ ... مِنْ دَفْقِهَا العَذْبِ أَرْوَاحٌ وَأَجْسَادُ
اقْرَأْ فَأَشْرَقَتِ الشَّمْسُ الَّتِي رَسَمَتْ ... وَجْهَ الصَّبَاحِ إِلَيْهِ الأَرْضُ تَنْقَادُ(٢)

كذلك في الصورة الفنية التالية تتضافر أيضا عناصر اللون والصوت والحركة، فالمجيئ له حركة، وكذلك تنحني ونهتز هما يدلان أيضا علىٰ الحركة، في حين إن الغناء له صوت، والأصفاد لها لون الحديد:

جِئْنَاكَ لا شَيْءَ غَيْرُ العِشْقِ يَحْمِلُنَا ... إِلَىٰ عِنَاقِكَ مَنْ جَاؤُوْكَ مَا حَادُوا!
هَاهُمْ أَمَامِي وَمِنْ خَلْفِي بِهِمْ سَمَقَتْ ... أَصْفَادُ حُبِّكَ بَعْضُ الحُبِّ أَصْفَادُ!

(١) عيسىٰ جرابا، قصيدة إمام العاشقين، http://twitmail.com، ١٤٣٤هـ.
(٢) المرجع نفسه.

سَـكَنْتَ فِيْنَـا وَلَـمْ نَسْـكُنْ سِـوَاكَ أَيَـا طَــوْداً لَــهُ تَنْحَنِــي تَهْتَــزُّ أَطْــوَادُ
جِئْنَـا نُغَنِّـي فَرَفَّـتْ فِـي الـوَرَىٰ مُهَـجٌ إِنَّ الغِنَــاءَ عَلَــىٰ كَفَّيْــكَ مِــيْلادُ! (١)

كذلك أفاد الشاعر من معطيات الصور الجزئية من تشبيه واستعارة، فنجده يستخدم الكثير من التشبيهات البليغة، فيرىٰ أن العز سامق مثل النخيل، وأن الشموخ مثل الثرىٰ، وزمزم طهر، والأمان ربيع، والحق منائر عالية، وهكذا:

يَـا مَـوْطِنِي يَـا نَخِيْـلَ العِـزِّ فَـوْقَ ثَـرَىً مِــنَ الشُّــمُوْخِ لَــهُ فِـي الكَــوْنِ أَبْعَــادُ
يَـا زَمْـزَمَ الطُّهْـرِ مَـا لاحَـتْ يَـدَاكَ نَـدَىً إِلاَّ وَكَــانَ لِمَــنْ يَهْــوَاكَ إِيْــرَادُ
وَيَــا رَبِيْــعَ أَمَــانٍ فَتَّحَــتْ وَزَهَــتْ أَكْمَامُــهُ بَهْجَــةً وَالغُصْــنُ مَيَّــادُ
مَنَـائِرُ الحَـقِّ صَـاغَتْ صَـرْحَ مَمْلَكَـةٍ يَحْمِيْـهِ مِـنْ صَـوْلَةِ الإِرْهَـابِ آسَـادُ (٢)

كما يستخدم الشاعر صورة من صور التشبيه التام حين شبه العاشقين بأسراب الحمام، حين يبوح القلب:

العَاشِـقُوْنَ كَأَسْـرَابِ الحَمَـامِ عَلَـىٰ جَفْنَيْكَ حَيْثُ لِبَوْحِ القَلْبِ مِيْعَادُ(٣)

كذلك العمر يصير أعياداً :

مَوَاسِــمٌ ثَــرَّةٌ لَــمْ تَتَّخِــذْ وَطَنَــاً سِـوَاهُ مُـذْ أَزْهَـرَتْ وَالعُمْـرُ أَعْيَـادُ(٤)

كذلك يستخدم الشاعر التعبيرات الاستعارية، وخاصة الاستعارة المكنية، حيث الشمس إنسان يرسم وجه الصباح، والاستعارة هنا غرضها التشخيص:

(١) عيسىٰ جرابا، قصيدة إمام العاشقين، http://twitmail.com، ١٤٣٤هـ..
(٢) المرجع نفسه.
(٣) المرجع نفسه.
(٤) المرجع نفسه.

اقْـرَأْ فَأَشْـرَقَتِ الشَّـمْسُ الَّتِي رَسَـمَتْ وَجْـهَ الصَّـبَاحِ إِلَيْـهِ الأَرْضُ تَنْقَـادُ (١)

كذلك التعبير الاستعاري يصور الوطن بإنسان يُعانِق، ويُعانَق:

جِئْنَـاكَ لا شَـيْءَ غَيْـرُ العِشْـقِ يَحْمِلُنَـا إِلَىٰ عِنَاقِـكَ مَـنْ جَـاؤُوْكَ مَـا حَـادُوا(٢)

كذلك يصير الوطن إنسانا يسكن في ساكنيه، وهم لا يسكنون غيره، وهو إنسان يغني الناس علىٰ كفيه:

سَـكَنْتَ فِيْنَـا وَلَـمْ نَسْـكُنْ سِـوَاكَ أَيَـا طَـوْداً لَـهُ تَنْحَنِـي تَهْتَـزُّ أَطْـوَادُ

جِئْنَـا نُغَنِّـي فَرَفَّـتْ فِـي الـوَرَىٰ مُهَـجٌ إِنَّ الغِنَـاءَ عَلَـىٰ كَفَّيْـكَ مِـيْلادُ! (٣)

الصور الفنية في قصيدة أغنية الوطن:

يعتمد الشاعر في بناء صوره الفنية علىٰ الصور الجزئية التي تعبر عبر التشبيهات والاستعارات والكنايات عن مدىٰ شغف الشاعر بوطنه، استخدم الشاعر التشبيه البليغ سواءً عن طريق المبتدأ والخبر أو الحال وصاحبها، فنراه في البيت الأول يرسم تشبيها بليغا بجملة ابتدائية محذوف مبتدؤها، لأنه مفهوم من السياق، وكذلك في البيت الثاني يقدم لنا تشبيها بليغا أيضا باستخدام الحال وصاحبها فيقول:

وشـم علـىٰ سـاعدي نقـش علـىٰ بـدني وفي الفـؤاد وفي العينـين يـا وطنـي

شمسـًا حملتـك فـوق الـرأس فانسـكبت مسـاحة ثـرة الأضـواء تغمـرني(٤)

(١)عيسىٰ جرابا، قصيدة إمام العاشقين، http://twitmail.com، ١٤٣٤هـ.

(٢) المرجع نفسه.

(٣) المرجع نفسه.

(٤) علي محمد صيقل، أغنية للوطن، نادي جازان الأدبي، ص٣١

كذلك الشبيه البليغ في انداح في خافقي سحرا وترنيمة، فالوطن مثل السحر ومثل الترنيمة، وكذلك الوطن لحن، فقصيدته منذ البدء (أنت لحنها) تشبيه بليغ عن طريق المبتدأ والخبر:

وانـــداح في خـــافقي ســـحراً وترنمـــة وذكريـــــات وآمـــــالاً تضـــــمدني
قصـــيدتي أنـــت منـــذ البـــدء لّحنهـــا أجـــدادي الشُّـــمُ فانثالـــت إلـــىٰ أذني[1]

ثم يأتي التعبير الاستعاري ليمثل الشق الثاني من صور وأخيلة الشاعر الجزئية، فبما أنه يعمد إلىٰ الحديث إلىٰ الوطن، وبما أنه يريد أن يجعل منه كائنا حيًا، يشعر، ويُخاطب، فكان من الضروري علىٰ الشاعر أن يستخدم الاستعارة المكنية التي تهدف إلىٰ التشخيص، فنداء الوطن تشخيص، كذلك تشبيهه بالنكهة الحلوة التي تنساب في البدن تجسيد لهذا الوطن:

يـــا مـــوطني أننـــي أهـــواك في وَلَـــهٍ يـــا نكهـــة حلـــوة تنســـاب في بـــدني"[2]

كذلك تحسيد مفردات الوطن وتفاصيله، فالرمال إنسان يستمع والنخلة فتاة تتمايل طربا ورشاقة، بل وتستزيد الشاعر من ألحانه العذبة، وتوشوشه كي يزيدها طربا، والشاعر يضمها في عشق لأنها رمز العطاء في هذه البيئة الصحراوية التي يمثل فيها النخيل عصب الحياة: [3]

غنيـت مـا للرمـال السـمر في .. شـغف وللصـــــواري وللأمـــــواج والســـــفن
لنخلـــة .. حينمـــا أســـمعتها اندهشـــت تمايلـــت وانثنـــت نحـــوي توشوشـــني
مـا أروع اللحـن قالـت .. هـزني طربـًا فغـــن لـــي غـــن إنّ اللحـــن أطربنـــي

(١) المرجع السابق، ص٤١.
(٢) المرجع نفسه.
(٣) المرجع نفسه.

ضـــممتها إنهـــا رمـــز العطـــاء وفي جـــذورها عـــروة وثقـــىٰ توصـــلني"

الصور الفنية في قصيدة حبيبتي هذه الأرض:

وكما لزم الشاعر المعجم التقليدي في لغته الشعرية، كذلك في الصور، فجلّ صوره الشعرية جزئية، تتوزع بين الاستعارة والتشبيه والكناية والمجاز المرسل، وقلما يفيد من الصور الكلية التي تصبح أكثر مشهدية وبصرية.

يمثل التشبيه البليغ، وخاصة صيغة المضاف والمضاف إليه السمة السائدة في صور الشاعر، فنجده يستخدم "وجه النهار، لهيب الشوق، رياض العدل، عطرها، ربا جازان، بقايا العمر، جدائل الفل، رياض العدل، بردة الساحل". والتشبيه بما يحمل من نسبة الصفة من المشبه إلىٰ المشبه به يعمد إلىٰ التجسيد والتمثيل.

كذلك تأتي الاستعارة التي هي أحد تجليات التشبيه، فهي تشبيه حذف أحد ركنيه المشبه أو المشبه به، وكذلك تقرب الاستعارة المعنىٰ إلىٰ القارئ عبر التخييل والتجسيد والتمثيل أيضا، فنجده يجعل النهار تبتهل" وجه النهار علىٰ كفيه يبتهل "فالنهار له وجه، وكذلك يبتهل ويدعو إلىٰ الله. وعاشق في مدىٰ عينيك يغتسل"، فهو العاشق، والأرض/ الحبيبة عيونها مثل النهار الجاري الذي يغتسل فيه هذا الشاعر. وكذلك "طواني العشق.. فجئت أحمل أفراحي" استعارة حيث صور العشق، كإنسان يطوي، كما صور الأفراح بشيء مادي يُحمل. و"نسيت فؤادي عند فاتنة" أيضا استعارة مكنية حيث صور الوطن مثل الحبيبة الفاتنة. و"تكسو جيدها" أيضـًا استعارة مكنية حيث شبه المحبوبة بالمرأة الجميلة التي لها جيد. و"قوامها من صبا نجد رشاقته" أيضا التعبير الاستعاري ساعد الشاعر علىٰ رسم صورة جميلة للمحبوبة/ الوطن. و"بأرض أبها تجلىٰ شكل وجنتها" ترشيح للصور

السابقة التي صورت الوطن بمحبوبة جميلة." لهيب الشوق يشتعل" ترشيح للصور السابقة.

وكذلك تأتي الكناية لتستكمل أجزاء الصور الجزئية التي أفاد منها الشاعر" نسيت فؤادي" كناية عن الارتباط الشديد بين الشاعر والمحبوبة." تكسو جيدها الحلل" كناية عن جمالها الشديد." قوامها من صبا نجد رشاقته" كناية عن الرشاقة. "فدتك النفس" كناية عن التضحية،" لا شح ولا ملل" كناية عن العدل في توزيع الحب. وميزة الكناية أنها تأتي بالمعنىٰ مصحوبًا بالدليل عليه.

كذلك أفاد الشاعر من المجاز المرسل وعلاقاته الجزئية والكلية، فنجده يقول "تكسو جيدها" كلمة جيد مجاز مرسل عن الرقبة وعلاقته الجزئية، "كفيك" مجاز مرسل عن اليدين، فمن يبتهل لا يرفع الكفين فقطن بل يرفع اليدين، وعلاقة المجاز هنا الجزئية. "تجلىٰ شكل وجنتها" مجاز مرسل عن الخد وعلاقته الجزئية أيضًا.

أما الصورة الكلية الوحيدة، فقد رسمها وهو يعبر عن كل اتجاهات وامتدادات المملكة، فجمع فيها بين اللون والحركة والصوت والرائحة في أربعة أبيات متتالية يقول:

وعطرُها من ربا جازانَ تحملهُ ... جدائلُ الفلِ تكسو جيدَها الحللُ
قَوامُها من صَبَا نجدٍ رشاقتُه ... ومن جدائلها الأهدابُ والمقلُ
بأرضِ أبها تَجَلّىٰ شكلُ وجنتِها ... حتىٰ تشابهَ فيها الخدُ والعسلُ
وقلبُها في رياضِ العدلِ مسكنُهُ ... يُوزِّعُ الحبَ لا شحٌ ولا ملُ[1]

(١) إبراهيم عمر صعابي، وطن في الأوردة، إدارة الثقافة والمكتبات، جدة، ١٤٢١هـ.

فنجد الرائحة في "عطرها" "جدائل الفل"، كما نجد الحركة في " تكسو ـ تحمله ـ يوزع" و "رشاقتها" كما نجد الصوت في "صوت قلبها" في حين أننا نجد اللون في "بياض الفل ـ خضرة الربا"، تضافرت هذه الصور لتصنع صورة كلية للمحبوبة/ الوطن وامتداداته من جازان إلىٰ أبها إلىٰ الرياض، ليخبر الشاعر عن وحدة هذا الوطن حتىٰ في جماله الذي يتوزع بعدل علىٰ كل أركانه.

المبحث الثالث : الإيقاع الشعري

المثير للانتباه أن القصائد الخمس السابقة في مبحثي اللغة والصورة، موزونة، ومقفاة، أربعة منها علىٰ البحر البسيط وواحدة علىٰ البحر الكامل، والبحر البسيط والكامل من البحور المتسعة التي تناسب غرضي المدح والفخر اللذين يسمان الشعر الوطني الذي يتحدث عن الانتماء والارتباط بالوطن.

تأتي تفعيلات البحر البسيط علىٰ مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن، أما البحر الكامل فتأتي تفعيلاته متفاعلن متفاعلن متفاعلن، تأتي قصيدتا جاسم الصحيح: الوطن بأبجديةٍ ثانية وحكاية ملهم علىٰ البحر الكامل، وتأتي قصيدة إمام العاشقين علىٰ البحر الكامل أيضا، أما قصيدة أغنية الوطن وقصيدة حبيبتي هذه الأرض فهما علىٰ البحر البسيط.

ويلاحظ أن القصائد الثلاثة علىٰ البحر الكامل تقليدية البناء والقالب. بمعنىٰ أنها تتسم بتتابع الأبيات، والتراوح بين نظام الشاطرين (الصدر والعجز)، ووحدة الروي والقافية، كما أنها تتوفر علىٰ التصريع المقفىٰ في البيت الأول، أما البحر البسيط فجاءت عليه القصيدتان الأخريان.

خاتمــة

الوطن لا يكفيه ديوان شعر، ولن يفيه بحث أو دراسة أو أكثر، لأنه إحساس مستدام يحيا ويعيش ويبقىٰ مادام الإنسان، وقد حاولنا من خلال هذا البحث أن نقول شيئًا للوطن، وأن نستنطق من خلال التحليل والدراسة أرواح الشعراء التي أفاضت من وطنيتها الكثير، وذلك من خلال فصلين، تندرج تحت كل فصل مجموعة من المباحث، فجاء الفصل الأول معنونـًا بـ(دلالات الشعر الوطني في المملكة العربية السعودية)، وقد تضمَّن خمسة مباحث: المبحث الأول: تعزيز شعور الولاء والانتماء. المبحث الثاني: الغيرة علىٰ الوطن. المبحث الثالث: معالجة أحوال المجتمع. المبحث الرابع: العلاقة بين الحاكم والمحكوم. المبحث الخامس: الاغتراب عن الوطن والحنين إليه. في حين جاء الفصل الثاني تحت عنوان: (تقنيات التعبير عن الوطن في الشعر السعودي)، وضمَّ ثلاثة مباحث هي: المبحث الأول: اللغة الشعرية. المبحث الثاني: الصورة والمخيال الشعري. المبحث الثالث: الإيقاع الشعري.

وقدمنا من خلال الفصول الثلاثة، ومباحثها، وموضوعاتها، شروحـًا وتفصيلاً وتحليلاً لعدد من القصائد التي تناولت الوطن، وتحدثت عنه من جوانب مختلفة، وقد حاولنا تغطية أهم الجوانب الوطنية، وبرؤىً مختلفة ومتنوعة، ومن زوايا متعددة، وخرجت الدراسة بمجموعة من النتائج، لعل أبرزها:

١- ما زلنا بحاجة إلىٰ دراسات أكثر توسعـًا وشمولية، فما تعجّ به الدواوين يعد بالكثير، وما سينتجه الشعراء في السنوات المقبلة سيكون متاحـًا لأكثر من دراسة.

٢- تحفيز وتشجيع الشباب الباحثين وطلاب الدراسات العليا علىٰ التعمّق في دراسة الشعر الوطني، وتغطية المراحل الزمنية التي لم يتناولها هذا البحث.

٣- تخصيص دراسة مقبلة للشعر الوطني في شعر الشعراء السعوديين الشباب في الوقت الحاضر، لأن لديهم رؤية شعرية وطنية مختلفة، وتستحق أن تُدرس.

٤- تبنّي أي جهة ثقافية أو أكاديمية لجمع وطباعة الشعر الوطني، في موسوعة ضخمة تتسلسل حسب المراحل الزمنية، فتؤرخ للقصائد، وتترجم للشعراء، وتحفظ للوطن حضوره الشعري عند شعرائه.

٥- تكثيف عقد الملتقيات والندوات و(ورش) العمل، التي تشرح الشعر السعودي، وتضفي عليه لمحة نقدية، فهو بحاجة ماسة إلىٰ من يطرق تفاصيله أكثر، وخاصة علىٰ الصعيد النقدي، وعقد المقارنات -علىٰ المستوىٰ الفني للقصيدة الوطنية- بين المراحل الشعرية المختلفة.

ختاماً.. ستظل هذه الثنائية (الحب والوطن) تستحث الباحثين، وتناديهم، وتدعوهم لاستنفار جهودهم كافة، من أجل إيفاء هذا المبحث المهم حقه، وسيظل الوطن جميلاً بأرواح شعرائه الصادقين الأنقياء الأوفياء.

ثبت المصادر والمراجع

إبراهيم عمر صعابي، وطن في الأوردة، إدارة الثقافة والمكتبات، جدة، ١٤٢١هـ.
أشواق وحكايات: دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض سنة ١٩٨١م.
جاسم الصحيح، اكمل بشعبك تكتمل، www.okaz.com
جاسم الصحيِّح، قصيدة (حكاية ملهم)، صحيفة عكاظ، الجمعة ١٩ مارس ٢٠١٠م، العدد ٣١٩٧.
جاسم الصحيِّح، ما وراء حنجرة المغنِّي، الدار الوطنية الجديدة، الخبر، ٢٠١٠م.
حسن السبع: زيتها وسهر القناديل، مطابع البكيرية، الدمام، ١٩٩٢م.
حسن الصهلبي: سعودية المجد: www.alsalhbi.com
سعد البازعي: بين المثاقفة والتوظيف الخطاب الاستغرابي في الشعر السعودي، مجلة جامعة الملك سعود، ج٩، الآداب (١١) جامعة الملك سعود الرياض، ١٤١٧هـ، ص٤٢٧-٤٤٦، نقلاً عن موسوعة الأدب العربي السعودي، المجلد الثامن، مرجع سابق.
سعد الحميدين: خيمة أنت والخيوط أنا، دار الوطن، الرياض سنة ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م، ط١.
سعد الحميدين: ضحاها الذي، الرياض ط١، ١٤١٠هـ.
السعيد الورقي: لغة الشعر العربي الحديث، النادي الأدبي الثقافي، جدة، ١٤٠٨هـ.
عالي سرحان القرشي: علاقة القصيدة الجديدة في المملكة العربية السعودية بالتراث، مجلة قوافل، ع١، السنة الأولىٰ، النادي الأدبي بالرياض، ١٤١٣هـ، نقلاً عن موسوعة الأدب العربي السعودي الحديث، المجلد الثامن/ الجزء الثاني (الدراسات والنقد الأدبي)، دار المفردات للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢٢هـ.
عبدالله الصيخان: هوامش في طقس الوطن، دار الآداب، بيروت سنة ١٩٨٨م، ط١.
عبدالله بن محمد أبو داهش: نشأة الأدب السعودي المعاصر في جنوبي المملكة العربية السعودية (تهامة وعسير) سنة ١٣٥٢-١٣٨٠-١٩٢٢م-١٩٦٠م.

عبدالله سالم المعطاني: رؤية أولية في شعر حسن عبدالله القرشي، بحوث المؤتمر الثاني للأدباء السعوديين في مكة المكرمة، ٥-٧ شعبان، ١٤١٩هـ، ج٤، جامعة أم القرىٰ ١٤٢٠هـ، نقلاً عن موسوعة الأدب العربي السعودي الحديث،.

علي الدميني: رياح المواقع، ط١، سنة ١٤٠٧هـ.

علي الدميني: زمن للسجن أزمنة للحرية، دار الكنوز بيروت، ط١ سنة ٢٠٠٤م، ص١٩٧.

علي الدميني: زمن للسجن، أزمنة للحرية، مرجع سابق، ص١٩٦.

علي بن محمد السنوسي وآخرون: شعراء الجنوب، مطبعة الكمال، عدن.

علي محمد صيقل، أغنية للوطن، نادي جازان الأدبي، ١٤٠٩هـ.

عيسىٰ جرابا، قصيدة إمام العاشقين، http://twitmail.com، ١٤٣٤هـ.

محمد الثبيتي: التضاريس، النادي الثقافي الأدبي بجدة، ١٤١٣هـ.

محمد الثبيتي: تهجيت حلمًا، تهيجت وهما، الدار السعودية للنشر، ط١، ١٤٠٤هـ.

محمد بن علي السنوسي: الأعمال الكاملة، نادي جازان الأدبي، مطبعة الروضة، جدة سنة ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م.

مصطفىٰ خضر: الشعر والهوية، دار الذاكرة، سوريا، نقلاً عن مراجعة: صفوان سلمان، جريدة الحياة، ع١٠٦٦٢، ١٨/ ٤/ ١٩٩٢م.